دُرَرٌ رَمَضَانِيَّةٌ

ثلاثُونَ مجلسًا في رَمضانَ

إعْدَادُ

القِسْمِ العِلْمِيِّ بِمُؤَسَّسَةِ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ

إشْرَافُ

عَلَوِي بْنِ عَبْدِ القَادِرِ السَّقَّاف

الدُّرَرُ السَّنِيَّة

www.dorar.net

الفهرس

مُقدِّمةٌ ٣

١- رَمَضانُ فَضائِلُ وخَصائِصُ ٥

٢- مُقَدِّماتٌ عن صَومِ رَمَضانَ ٨

٣- مُفَطِّراتُ الصَّائِمِ (١) ١١

٤- مُفَطِّراتُ الصَّائِمِ (٢) ١٤

٥- ما يُكرَهُ للصَّائِمِ وما يُباحُ له ١٧

٦- أهلُ الأعذارِ ٢١

٧- الفِطرُ والسُّحورُ أحكامٌ وآدابٌ ٢٥

٨- رَمَضانُ والقُرآنُ ٢٩

٩- رَمَضانُ فُرصةٌ للتَّغيُّرِ ٣٢

١٠- رَمَضانُ وتربيةُ الأولادِ ٣٦

١١- فاستبِقُوا الخَيراتِ (١) ٤٠

١٢- فاستبِقُوا الخَيراتِ (٢) ٤٤

١٣- أخلاقُ الصَّائِمين (١) ٤٨

١٤- أخلاقُ الصَّائِمين (٢) ٥٢

١٥- الوِقايةُ من فِتنَةِ الشَّهواتِ (١) ٥٥

١٦- الوِقايةُ من فِتنَةِ الشَّهواتِ (٢) ٥٩

١٧- انتِصاراتٌ وفُتوحاتٌ رَمَضانيَّةٌ (١) ٦٣

١٨- انتصاراتٌ وفُتوحاتٌ رَمَضانيَّةٌ (٢) ٦٧

١٩- في رحابِ آياتِ الصِّيامِ ٧٠

٢٠- ودخلتِ العَشْرُ ٧٥

٢١- ادْعوني أستَجِبْ لكم ٧٩

٢٢- في رِحابِ سُورةِ القَدْرِ ٨٢

٢٣- لعلَّكُم تَتَفكَّرُون ٨٥

٢٤- رمضانُ والتَّوبةُ ٨٩

٢٥- تعظيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ ٩٢

٢٦- في ظِلِّ الصَّدَقةِ ٩٦

٢٧- زكاةُ الفِطرِ ١٠١

٢٨- ماذا بَعدَ رَمَضانَ؟ ١٠٤

٢٩- عيدُ الفِطرِ ١٠٨

٣٠- وداعًا رمَضانُ ١١٢

مُقدِّمةٌ

الحَمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ اللهِ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن تَبِعَ هُداه.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ شَهرَ رَمَضانَ شَهرٌ عَظيمٌ مُبارَكٌ، يَنبَغي للمُسلِمِ أن يَستَشعِرَ أهمِّيته، ويعلمَ فضائِلَه، ويُهَيِّئَ نَفسَه لاغتِنامِ أيَّامِه ولياليه في طاعةِ اللهِ، ويُبادِرَ إلى مَغفِرةِ اللهِ ورِضوانِه.

وانطِلاقًا مِن قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فبَينَ يَديكَ أخي الكَريمَ كتابُ ((دُرَرٌ رَمَضانيَّةٌ)) وقد اشْتَمل على أهمِّ ما يَحتاجُه المُسلِمُ في رَمَضانَ مِن تَعريفٍ بما لهذا الشَّهرِ مِن فَضائِلَ وخَصائِصَ، وعلى بعضِ الأحكامِ الفقهيَّةِ المختصرةِ المُتَعَلِّقةِ بالصِّيامِ وأركانِه، والمُفَطِّراتِ التي يَنبَغي للصَّائِمِ تَجَنُّبُها، وما يُباحُ له وما يُكرَهُ، وما يَتَعَلَّقُ بالفِطرِ والسُّحورِ مِن أحكامٍ وآدابٍ، ومَن يُرَخَّصُ لهم في الفِطرِ (أهل الأعذارِ)، بالإضافةِ إلى التَّذكيرِ بزَكاةِ الفِطرِ وصَلاةِ العيدِ، وأهَمِّ أحكامِهما وآدابِهما، وبيانِ أهمِّ العِباداتِ التي يَنبَغي للمُسلِمِ أن يَعتَنيَ بها خاصَّةً في رَمَضانَ، كالصَّلاةِ والصَّدَقةِ وقِراءةِ القُرآنِ والدُّعاءِ، وما يَنبَغي أن يَكونَ عليه الصَّائِمُ مِن أخلاقٍ... إلى غَيرِ ذلك مِن مَوضوعاتٍ أُخرى تَتَعَلَّقُ بهذا الشَّهرِ المُبارَكِ.

ورغبةً في تيسيرِ قراءةِ الكِتابِ والانتفاعِ به، فقد جرَى العملُ في الكتابِ وفقَ الآتي:

١- جُعِلتْ موضوعاتُ الكتابِ في ثَلاثينَ مَجلِسًا مُوزَّعةً على أيَّامِ الشَّهرِ.

٢- صُدِّر الكِتابُ بفهرسِ الموضوعاتِ، ويُمكِنُ للقارِئِ مِن خِلالِ جهازِه بمُجَرَّدِ الضَّغطِ على أيِّ مَوضوعٍ مِن المَوضوعاتِ أن يَنتَقِلَ إلى المَوضِعِ الذي يُريدُه، مَعَ رَبطِ كَثيرٍ مِن المَوضوعاتِ والأحاديثِ في الكِتابِ بموضِعِها في مَوقِعِ الدُّرَرِ السَّنيَّةِ، لمَن أرادَ التَّوسُّعَ.

٣- رُوعي أن يَكونَ الكتابُ بثَلاثةِ أحجامٍ متنوعةٍ تَصلُحُ للطباعةِ وللأجهزةِ المُختَلِفةِ، كالجَوَّالِ والآيباد؛ رغبةً في نَشرِ هذا الكِتابِ إلى أكبَرِ عَدَدٍ مِن المُسلِمينَ، وتَعميمِ النَّفعِ به.

٤- توضيحُ العَناوينِ والآياتِ والأحاديثِ بألوانٍ مميِّزةٍ لها.

والكِتابُ أُعِدَّ لا ليَقرَأَه المُسلِمُ في نَفسِه فقَط، بَل ليَقرَأَه على غَيرِه، خاصَّةً أئِمَّةَ المساجدِ والخُطَباءَ وطَلَبَةَ العِلمِ، نَفعَ اللهُ بهم أجمَعينَ.

فساهِمْ أخي المُسلِمَ في نَشرِه -وما أيسَرَ ذلك الآنَ- وكُنْ شَريكًا في الأجرِ؛ فالدَّالُّ على الخَيرِ كفاعِلِه.

نَسألُ اللهَ تعالى أن يَتَقَبَّلَ مِنَّا ومنكم، وأن يَجعَلَ أعمالَنا خالِصةً لوَجهِه الكَريمِ.

وصلَّى اللهُ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الأوَّلُ
رَمَضانُ فَضائِلُ وخَصائِصُ

الحَمدُ للهِ فاطِرِ السَّمواتِ والأرضِ، فضَّلَ بَعضَ الأزمِنةِ والأمكِنةِ والأعمالِ على بَعضٍ، واختَصَّ ما شاءَ مِنها بما شاءَ مِن نَفلٍ وفرضٍ، القائِلِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ المُختارِ.

أمَّا بَعدُ:

فيا عبادَ الله:

لقد أظَلَّنا شَهرٌ عظيمٌ مبارَكٌ، شَهرٌ جَعَله اللهُ مَوسِمًا للطَّاعاتِ، ونُزولِ الرَّحماتِ والبَرَكاتِ.

وشهرُ رَمَضانَ له فضائِلُ كثيرةٌ، وخصائِصُ عظيمةٌ اختصَّه اللهُ بها من بَينِ الشُّهورِ:

فمِن فضائِلِه: أنَّ اللهَ تعالى فضَّله على بقيَّةِ الشُّهورِ بإنزالِ أفضَلِ الكتُبِ السَّماويَّةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ونَزَل في أشرَفِ ليلةٍ منه، **وهي ليلةُ القَدْرِ**، قال سُبحانَه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

ومِن فضائِلِ هذا الشَّهرِ: أنَّ اللهَ تعالى وعَدَ على العبادةِ فيه صيامًا وقيامًا بالمغفرةِ من الذُّنوبِ.

ففي الصَّحيحَينِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن صام رَمَضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبِه، ومَن قام لَيلةَ القَدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقَدَّم من ذنبِه)).

وفيهما عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن قام رَمَضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبِه)).

ففي ذلك بِشارةٌ عظيمةٌ مِن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِمَن وُفِّق لصيامِ وقيامِ شَهرِ رَمَضانَ كلِّه.

وفي صحيحِ مُسلمٍ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((الصَّلَواتُ الخمسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ: مُكَفِّراتٌ ما بَينَهنَّ إذا اجتَنَبَ الكبائرَ)).

وما أعظَمَ الخَيبةَ والخُسرانَ لِمَن لَم يُغفَرْ له في رَمَضانَ.

ثبت عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ارتقى المِنبَرَ، فقال: ((آمينَ، آمينَ، آمينَ، فقيل: يا رسولَ اللهِ، ما كنتَ تَصنَعُ بهذا؟ فقال: قال لي جبريلُ: رَغِمَ أنفُ عَبدٍ دخَلَ عليه رَمَضانُ فلم يُغفَرْ له، فقُلتُ: آمينَ ...)).

(رَغِمَ أنفُه) أي: خابَ وخَسِرَ ولَصِقَ أنفُه بالتُّرابِ كلُّ مَن أدرَكَ رَمَضانَ، فكَسِلَ عن العِبادةِ حتَّى انتهى الشَّهرُ ولم يُغفَرْ له.

ومِن فَضائِلِ هذا الشَّهرِ: أنَّ صيامَه مِن أسبابِ دُخولِ الجَنَّةِ.

فروى مسلِمٌ عن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَجُلًا سأل رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: ((أرأيتَ إذا صلَّيتُ الصَّلَواتِ المكتوباتِ، وصُمتُ رَمَضانَ، وأحلَلتُ الحلالَ، وحَرَّمتُ الحرامَ، ولم أزِدْ على ذلك شيئًا، أأدخُلُ الجنَّةَ؟ قال: نَعَم،...)).

وثبَت عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَجُلًا مِن قُضاعةَ جاء نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: يا رسولَ اللهِ، شَهِدتُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّك رسولُ اللهِ، وصَلَّيتُ الخَمسَ، وأدَّيتُ زكاةَ مالي، وصُمتُ رَمَضانَ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَن مات على هذا كان مع النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ يومَ القيامةِ هكذا -ونَصَب إصبَعَيه- ما لم يَعُقَّ والِدَيه)).

فصومُ رَمَضانَ من جملةِ الأسبابِ الَّتي ينالُ بها العبدُ صُحبةَ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ يومَ القيامةِ.

ومِن خصائِصِ هذا الشَّهرِ العظيمِ: أنَّه الشَّهرُ الَّذي تُفتَحُ فيه أبوابُ الجنَّةِ، وتُغلَقُ فيه أبوابُ النَّارِ، وتُصَفَّدُ فيه الشَّياطينُ وتُسَلسَلُ.

ففي صحيحِ البخاريِّ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إذا دخل رَمَضانَ فُتِّحَت أبوابُ الجنَّةِ، وغُلِّقَت أبوابُ جَهَنَّمَ، وسُلسِلَت الشَّياطينُ)). وفي روايةٍ لمُسلمٍ: ((وصُفِّدَت الشَّياطينُ)).

فإذا جاءَ شَهرُ رَمَضانَ فُتِّحَت أبوابُ الجَنَّةِ؛ تَعظيمًا لهذا الشَّهرِ وتَكريمًا، وحَثًّا للنَّاسِ على الطَّاعاتِ، وغُلِّقت أبوابُ جَهنَّمَ؛ فإنَّ ذلك باعثٌ على تَركِ المُنكَراتِ. وتُسلسَلُ فيه الشَّياطينُ، فتَقِلُّ الشُّرورُ في رمضانَ، ويزدادُ الإقبالُ على الطَّاعاتِ سُهولةً، ويزدادُ العِبادُ مِن المحرَّماتِ نُفورًا، فيا باغيَ الخيرِ أقبِلْ، ويا باغيَ الشَّرِّ أقصِرْ؛ فعَسَى أن تُصيبَك نَفحةٌ مِن نَفَحاتِ الرَّحمنِ فتَسعَدَ بها سعادةً أبَدِيَّةً تأمنُ بَعدَها مِن لَفَحاتِ جَهنَّمَ.

أخي المُبَارك:

إنَّ إدراكَ شَهرِ رَمَضانَ لَنِعمةٌ عظيمةٌ على من بُلِّغَه، وقام بحَقِّه، وكم مِن صحيحٍ مُعافًى قد أمَّلَ بلوغَ رَمَضانَ لهذا العامِ فجاءته المنيَّةُ على حينِ غِرَّةٍ!

وقد ثبَت عن طَلحةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَجُلَين قَدِما على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكان إسلامُهما جميعًا، فكان أحدُهما أشَدَّ اجتِهادًا مِن الآخَرِ، فغزا المجتَهِدُ مِنهما فاستُشهِد، ثمَّ مكَث الآخَرُ بَعدَه سنةً، ثمَّ تُوُفِّيَ، ورُئيَ في المنامِ أنَّه دخل الجنَّةَ قَبلَ الأوَّلِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أليس قد مكَث هذا بعدَه سنةً؟ قالوا: بلى، قال: وأدرَك رَمَضانَ فصام، وصلَّى كذا وكذا من سجدةٍ في السَّنةِ؟ قالوا: بلى، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: فما بَينَهما أبعَدُ ممَّا بَينَ السَّماءِ والأرضِ)). فـ((خيرُ النَّاسِ مَن طال عُمُرُه وحَسُن عَمَلُه))، كما صَحَّ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومِن ذلك بلوغُ رَمَضانَ والاجتهادُ فيه.

فهنيئًا لمن أدْرَكَه، واغتَنَم ساعاتِه، وفازَ بتحقيقِ الغايةِ مِن صيامِه؛ فإنَّ الحِكمةَ الَّتي مِن أجْلِها شُرِع الصِّيامُ هي التَّقوى.

كما قال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصِّيامُ مِن أكبَرِ أسبابِ التَّقوى.

ومن فوائدِ الصِّيام -أيُّها الإخوةُ- أنَّه موجِبٌ للرَّحمةِ والعَطفِ على المساكينِ.

وفي الصِّيامِ تربيةٌ للنَّفسِ على الإرادةِ، وقوَّةِ التَّحمُّلِ.

وفي الصِّيامِ قهرٌ للشَّيطانِ.

والصِّيامُ يُطَهِّرُ البَدَنَ، ويُكسِبُه صحَّةً وقوَّةً. إلى غيرِ ذلك من الفَوائِدِ.

نَسألُ الله جَلَّ ثَناؤُه أن يَمُنَّ علينا باغتِنامِ هذا الشَّهرِ العَظيمِ،

وأن يَجعَلَنا فيه مِن المَقبولينَ، وأن يَغفِرَ لنا ذُنوبَنا أجمَعينَ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الثَّاني

مُقَدِّماتٌ عن صَومِ رَمَضانَ

الحَمدُ للهِ الذي أسبَغَ علينا نِعَمَه ظاهرةً وباطِنةً، فبَلَّغَنا رَمَضانَ، ونحن في أمنٍ وعافيةٍ في الأبدان، والصَّلاةُ والسَّلامُ الأتَمَّانِ الأكمَلانِ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ خَيرِ مَن صامَ وقامَ.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ صومَ رَمَضانَ فريضةٌ عظيمةٌ.

قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أي: فُرِضَت عليكم -أيُّها المؤمِنون- عِبادةُ الصِّيامِ كَما فُرِضَت على الأُممِ السَّابِقةِ.

وقال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أي: فمَن كان حاضرًا مُقيمًا غيرَ مسافرٍ فقد وجَب عليه صيامُ ما حضَرَه مِن أيَّامِ الشَّهرِ الفَضيلِ.

وهو ركنٌ مِن أركانِ الإسلامِ الخَمسةِ.

ففي الصَّحيحَينِ مِن حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصَومِ رَمَضانَ، وحَجِّ البَيتِ)).

لذا ينبغي على المُسلمِ أن يتعَلَّمَ أحكامَ الصَّومِ حتَّى يكونَ صومُه صَحيحًا مقبولًا عِندَ اللهِ تعالى.

والصَّومُ الشَّرعيُّ -أيُّها الإخوةُ- هو: التَّعبُّدُ للهِ سُبحانَه وتعالى بالإمساكِ عن الأكلِ والشُّربِ وسائِرِ المُفَطِّراتِ، مِن طُلوعِ الفَجرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ.

فتبيَّنَ مِن هذا التَّعريفِ أنَّ للصِّيامِ رُكنَين:

الرُّكنُ الأوَّلُ: الإمساكُ عن المُفَطِّراتِ

فيجِبُ على الصَّائِمِ الامتناعُ عن كلِّ ما يُبطِلُ صَومَه مِن سائِرِ المفَطِّراتِ، كالأكلِ والشُّربِ والجِماعِ.

والرُّكنُ الثَّاني: استيعابُ زَمَنِ الإمساكِ

قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فأباح اللهُ عزَّ وجَلَّ الأكلَ والشُّربَ في أيِّ وقتٍ من اللَّيلِ، حتَّى يتميَّزَ بياضُ النَّهارِ مِن سوادِ اللَّيلِ، وحينَها يجبُ الإمساكُ عن الأكلِ والشُّربِ والجِماعِ إلى غروبِ الشَّمسِ.

وفي الصَّحيحيْنِ عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إذا أقبَلَ اللَّيلُ مِن هاهنا، وأدبَرَ النَّهارُ مِن هاهنا، وغرَبَتِ الشَّمسُ؛ فقد أفطَرَ الصَّائِمُ)).

فيلزَمُ الإمساكُ عَنِ المفطِّراتِ مِن دُخولِ الفَجرِ الثَّاني، فمَن طلَع عليه الفَجرُ وفي فَمِه طعامٌ فلْيلفِظْه ويُتمَّ صَومَه، فإنِ ابتلَعَه بطَلَ صومُه.

وينتهي زَمَنُ الإمساكِ بغُروبِ الشَّمسِ.

ويُشترَطُ لوجوبِ صَومِ رَمَضانَ: الإسلامُ، والبُلوغُ، والعَقلُ، والإقامةُ، والقُدرةُ على الصَّومِ، والطَّهارةُ مِنَ الحَيضِ والنِّفاسِ.

ولا يَصِحُّ الصَّومُ بدونِ نيَّةٍ، ويجِبُ تبييتُها مِنَ اللَّيلِ قَبلَ طُلوعِ الفَجرِ، والنِّيَّةُ مَحَلُّها القَلبُ، فلا يُشرَعُ النُّطقُ بها، ومتى خطَر بقلبِك في الليلِ أنَّ غدًا مِن رمضانَ، وأنَّك صائمٌ فيه، فقد نوَيْتَ، والتسحُّرُ لأجلِ الصِّيامِ دليلٌ على حصولِ النِّيَّةِ.

ومَن تردَّدَ في نيَّةِ الصَّومِ الواجِبِ، واستمَرَّ هذا التَّردُّدُ إلى الغَدِ، ثمَّ صامه؛ فصَومُه غيرُ صحيحٍ، وعليه قضاءُ هذا اليومِ.

وإذا عقَد الإنسانُ النِّيَّةَ على أنَّه إن كان غدًا رَمَضانُ فهو فَرضي، أو سأصومُ الفَرضَ، فتَبَيَّنَ أنَّه رَمَضانُ؛ فصَومُه صَحيحٌ.

وقد فرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ صيامَ شَهرِ رَمَضانَ إذا طَلَع هِلالُه، فأوجَبَ تعالى على مَن حَضَر رَمَضانَ -بأنْ أهَلَّ هِلالُه وهو مُقيمٌ مُعافًى- أن يَصومَه. قال اللهُ تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((صُوموا لرُؤيَتِه، وأفطِروا لرُؤيَتِه، فإنْ غَبِيَ عليكم فأكمِلوا عِدَّةَ شَعبانَ ثلاثينَ)). ((غَبِيَ عليكم)) أي: خَفِيَ عليكم.

فلا يُصامُ رَمَضانُ إلَّا إذا رُئِيَ الهِلالُ، فإذا تَعذَّرَت رُؤيتُه ليلةَ الثَّلاثينَ مِن شعبانَ؛ بسَبَبِ الغَيمِ أو أيِّ مانِعٍ، فإنَّه يُتمَّمُ شَعْبانُ ثلاثينَ يومًا.

ولا يجوز صَومُ يَومِ الشَّكِّ خوفًا من أن يكونَ من رَمَضانَ، ويومُ الشكِّ هو اليومُ الثلاثون مِن شعبانَ، إذا لم تثبُتْ الرؤيةُ ثبوتًا شرعيًّا. ففي الصحيحين عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((لا تَقَدَّمُوا رمضانَ بِصَومِ يومٍ ولا يومينِ، إلَّا رجلٌ كان يصومُ صَومًا فلْيَصُمْه)).

ويجوزُ استعمالُ المراصِدِ الفَلَكِيَّةِ، فلو رأى الهلالَ عَبْرَها مَن يُوثَقُ به، فإنَّه يُعمَلُ بهذه الرُّؤيةِ.

ولا يجوزُ العمَلُ بالحسابِ الفَلَكِيِّ، ولا الاعتمادُ عليه، في إثباتِ دخولِ رَمَضانَ.

اللهُمَّ أعِنَّا على صيامِ رَمَضانَ وقيامِه على الوَجهِ الذي يُرضيكَ عَنَّا، واغفِر لنا ذنوبَنا، وإسرافَنا في أمرِنا، ونَسألُكَ فِعلَ الخَيراتِ، وتَركَ المُنكَراتِ، ونَسألُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، وحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلى حُبِّكَ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الثَّالثُ

مُفَطِّراتُ الصَّائمِ (١)

الحمدُ للهِ الذي علَّمَنا مِن العِلمِ ما لم نكُنْ نَعْلَمُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على محمدٍ المبعوثِ بالشَّرعِ الأقومِ والمنهجِ الأحكمِ.

أمَّا بَعدُ:

فقد ذكرنا أنَّ أوَّلَ أركانِ الصيامِ الإمساكُ عن المُفَطِّراتِ فتعالوا بنا نتعرفْ على هذه المفطِّراتِ حتى يسلمَ للصَّائمِ صومُه.

فمِن المفطِّراتِ للصَّائمِ: تناوُلُ الطَّعامِ والشَّرابِ عَمدًا.

فمَن أكلَ أو شَرِبَ ممَّا يُتغذَّى به متعمِّدًا، وهو ذاكِرٌ لصَومِه، فإنَّ صَومَه يَبطُلُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فأباح اللهُ تعالى الأكلَ والشُّربَ في أيِّ وقتٍ مِن اللَّيلِ، حتَّى يظهَرَ بياضُ النَّهارِ مِن سَوادِ اللَّيلِ، وحينَها يجبُ الإمساكُ عن الأكلِ والشُّربِ إلى غُروبِ الشَّمسِ.

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ: ((يترُكُ طَعامَه وشَرابَه وشَهوتَه مِن أجْلي)).

ويلزَمُ مَن أفطَرَ متعمِّدًا بتناوُلِ الطَّعامِ أو الشَّرابِ الإمساكُ بقيَّةَ يومِه، وعليه قضاءُ هذا اليَومِ ولا كفَّارةَ عليه.

ومَن أكَلَ أو شَرِبَ ناسيًا فلا شَيءَ عليه، ويُتِمُّ صَومَه، ((فإنَّما أطعَمَه اللهُ وسقاه))، كما في الصَّحيحَينِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه.

وهناك أشياءُ يُعفى عنها فلا تُفَطِّرُ الصَّائِمَ، ومن ذلك:

ما يَدخُلُ جَوفَه بلا اختيارٍ منه، كغُبارِ الطَّريقِ وغيرِه، فلا يُفطِّرُه.

وابتِلاعُ الرِّيقِ لا يُفطِّرُ، ما دام لم يفارقِ الفَمَ ولم يَجمَعْه.

ومَن ابتلَعَ ما بَينَ أسنانِه وهو صائِمٌ، وكان يسيرًا لا يمكِنُ لفظُه، مِمَّا يجري مع الرِّيقِ؛ فصومُه صحيحٌ، وإن كان يُمكِنُه لَفظُه فإنَّه يُفطِرُ.

وابتِلاعُ البَلغَمِ أو النُّخامةِ إذا لم تَصِلْ إلى الفَمِ: لا يُفَطِّرُ.

وشُربُ الدُّخَانِ المعروفِ أثناءَ الصَّومِ يُفسِدُه؛ لأنَّ الدُّخَانَ له جِرمٌ ينفُذُ إلى الجَوفِ، فيكونُ مُفطِّرًا كالماءِ؛ وصاحِبُه يتعَمَّدُ إدخالَه في جَوفِه مِن مَنفَذِ الأكلِ والشُّربِ، فيكونُ مُفطِرًا، وتعاطِيه أصلًا حرامٌ، صائمًا كان أو مُفطِرًا، في رمضانَ أو غيرِ رَمَضانَ.

ومَن استقاءَ متعمِّدًا فقد أفطَرَ، ويلزَمُه القضاءُ، ولا كفَّارةَ عليه، ومَن غلبَه القيءُ لا يُفطِرُ، ولا شَيءَ عليه.

ومِن مُفَطِّراتِ الصَّائمِ: الوُقوعُ في الجِماعِ عَمدًا.

فمَن جامعَ متعمِّدًا في نهارِ رمضانَ فسَدَ صَومُه.

قال اللهُ تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فعلَّقَ حِلَّ الرَّفَثِ إلى النِّساءِ -وهو الجِماعُ- إلى تبيُّنِ الخَيطِ الأبيضِ مِن الأسوَدِ مِن الفَجرِ، وهو وقتُ بدايةِ الصِّيامِ، ثمَّ يجِبُ الإمساكُ عن ذلك إلى اللَّيلِ، فإذا وُجِدَ الجِماعُ قَبلَ اللَّيلِ فإنَّ الصِّيامَ حينَئذٍ يكونُ باطلًا.

روى البخاريُّ ومُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه ((أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جاء إليه رجلٌ فقال: هلكْتُ يا رسولَ اللهِ! قال: وما أهلَكَك؟ قال: وقعتُ على امرأتي في رمضانَ، فقال: هل تجِدُ ما تُعتِقُ؟ قال: لا. قال: هل تستطيعُ أن تصومَ شَهرَينِ مُتَتابعَينِ؟ قال: لا. قال: فهل تجِدُ إطعامَ سِتِّينَ مِسكينًا؟ قال: لا. فمكَث النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فبَيْنا نحن على ذلك أُتِيَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعَرَقٍ فيها تَمْرٌ -والعَرَقُ: المِكتَلُ[1]-، قال: أين السَّائِلُ؟ فقال: أنا. قال: خذْ هذا فتصَدَّقْ به...)).

وتجِبُ الكفَّارةُ على المُجامِعِ، ويكونُ وَفقَ التَّرتيبِ المذكورِ في الحديثِ السَّابِقِ: عِتقُ رَقَبةٍ، فإنْ لم يستَطِعْ فصِيامُ شَهرَينِ متتابِعَينِ، فإن لم يَستَطِعْ فإطعامُ سِتِّين مِسكينًا.

---

(١) وهو شيءٌ كالقُفَّةِ أو الزِّنبيلِ يَسَعُ خَمسةَ عَشَرَ صاعًا إلى عِشرين.

وعليه أنْ يَقضيَ ذلك اليومَ الَّذي أفسَدَه بالجِماعِ.

وإذا جومِعَت المرأةُ في نهارِ رَمَضانَ طائعةً يلزَمُها القضاءُ والكفَّارةُ.

ومَن جامَع ناسيًا فصَومُه صحيحٌ، ولا يلزَمُه شيءٌ.

ومَن استَمنى في نهارِ رَمضانَ فقد فسَدَ صَومُه، وعليه القَضاءُ، ولا كفَّارةَ عليه.

ومَن نام فاحتلَمَ في نهارِ رَمَضانَ فصَومُه صحيحٌ.

وللحَديثِ بَقيَّةٌ إن شاء اللهُ...

نَسألُ الله أن يُفقِّهَنا في دينِنا، وأن يُعَلِّمَنا ما يَنفعُنا، ويَنفَعَنا بما عَلَّمَنا.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: ما يُفسِدُ الصَّومَ وما لا يُفسِدُه – الموسوعة الفقهية

المجلسُ الرَّابعُ
مُفَطِّراتُ الصَّائمِ (٢)

الحَمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ اللهِ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن والاه.

أمَّا بَعدُ:

فهذه مجموعةٌ أُخرى مِن المسائِلِ والأحكامِ المتعَلِّقةِ بمُفَطِّراتِ الصَّائمِ استِكمالًا لما تَقَدَّمَ في المجلسِ السَّابق.

فمِن المفطِّراتِ: الحَيضُ والنِّفاسُ.

فمَن حاضَت أو نَفِسَتْ أثناءَ نهارِ رَمَضانَ فقد فسدَ صَومُها، ويلزَمُها قضاؤه، ولا يلزَمُها إمساكُ باقي اليومِ.

روى البُخاريُّ ومُسلِمٌ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((... أليس إذا حاضَتْ لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟)).

وروى البخاريُّ ومُسلِمٌ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها لَمَّا سُئِلَت: ما بالُ الحائضِ تقضي الصَّومَ، ولا تقضي الصَّلاةَ؟ قالت: ((كان يُصيبُنا ذلك على عَهدِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فنُؤمَرُ بقَضاءِ الصَّومِ، ولا نُؤمَرُ بقَضاءِ الصَّلاةِ)).

وأمَّا بالنِّسبةِ لِما يتعَلَّقُ بذَهابِ العَقلِ أثناءَ الصَّومِ بإغماءٍ أو نومٍ:

فمَن نوى الصَّومَ في يومٍ مِن رمضانَ ثمَّ أُصيبَ بإغماءٍ واستوعَبَ الإغماءُ جميعَ النَّهارِ، أي: أُغمِيَ عليه قَبلَ الفَجرِ، ولم يُفِقْ إلَّا بَعدَ غُروبِ الشَّمسِ، فلا يَصِحُّ صومُه، وعليه قضاءُ هذا اليومِ؛ وذلك لأنَّ الصَّومَ إمساكٌ عن المُفَطِّراتِ مع النِّيَّةِ، والمُغمَى عليه فَقَدَ الإمساكَ المُضافَ إليه النِّيَّةُ.

والدَّليلُ على وُجوبِ القَضاءِ عليه: عمومُ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإذا أُغمِيَ عليه ثمَّ أفاق جزءًا مِنَ النَّهارِ، ولو لِلَحظةٍ، فصيامُه صَحيحٌ، ولا قضاءَ عليه؛ وذلك لأنَّ الصَّومَ إمساكٌ عَنِ المفطِّراتِ مع النِّيَّةِ، وما دام أنَّه قد أفاق جزءًا مِنَ النَّهارِ فقد وُجِدَت منه النِّيَّةُ، كما لو نام بقيَّةَ يومِه.

وكذلك مَن زالَ عَقلُه وفَقَد وعيَه بسببِ التَّخديرِ بالبَنْجِ فحُكمُه حُكمُ الإغماءِ، على ما سَبَقَ بيانُه.

ومَن نامَ في نهارِ رمضانَ فصَومُه صحيحٌ سواء استيقظَ في بعضِ النَّهارِ، ونام باقيَه، أو استغرقَ نومُه جميعَ النهارِ فلم يستيقِظْ إلَّا بعدَ الغُروبِ.

وأمَّا ما يتعَلَّقُ بالعِلاجاتِ والأدويةِ:

فمَن أُجرِيَ له غَسيلٌ كُلويٌّ بأيِّ وسيلةٍ كانت فإنَّه يُفطِرُ بذلك؛ لأنَّ غَسيلَ الكُلى مهما كانت صُورتُه لا يخلو مِن دُخولِ المُفَطِّرِ للبدَنِ؛ فهو يُزَوِّدُ الجِسمَ بالدَّمِ النَّقيِّ، وقد يُزوَّدُ بمادَّةٍ غذائيَّةٍ أخرى، فاجتمَعَ بذلك مُفَطِّران.

واستِعمالُ بخَّاخِ الرَّبوِ في نَهارِ رَمَضانَ لا يُفسِدُ الصَّومَ؛ لأنَّ الرَّذاذَ الَّذي ينفُثُه بخَّاخُ الرَّبوِ عبارةٌ عن هواءٍ، حُدودُه الرِّئَتانِ، ومُهِمَّتُه توسيعُ شَراييِنها وشُعَبِها الهوائيَّةِ الَّتي تَضِيقُ بالرَّبوِ، وهذا الرَّذاذُ لا يصِلُ إلى المَعِدةِ، ولا يُشكِّلُ غِذاءً ولا شَرابًا للمَريضِ، وهو ليس بمعنى الأكلِ ولا الشُّربِ.

والأقراصُ الَّتي تُوضَعُ تحتَ اللِّسانِ (وهي أقراصٌ توضَعُ لعلاجِ بعضِ الأزَماتِ القَلبيَّةِ، وهي تُمتَصُّ مباشرةً بعدَ وَضْعِها بوقتٍ قصيرٍ، ويحمِلُها الدَّمُ إلى القَلبِ، فتُوقِفُ أزَماتِه المفاجئةَ، ولا يدخُلُ إلى الجَوفِ شَيءٌ مِن هذه الأقراصِ). فتَناوُلُها لا يُفسِدُ الصَّومَ، بشَرطِ ألَّا يَبتلِعَ شيئًا ممَّا يتحَلَّلُ منها؛ فهي ليست أكلًا ولا شُربًا ولا في معناهما، ولا يدخُلُ منها شيءٌ إلى الجَوفِ.

واستعمالُ غازِ الأُكسجينِ في التَّنفُّسِ لا يُفسِدُ الصِّيامَ؛ لأنَّه مُجَرَّدُ غازٍ يدخُلُ إلى الجهازِ التَّنفُّسي، ولأنَّه لا يحتوي على أيِّ موادَّ مُغَذِّيةٍ أو غيرِها، ولا ينالُ المَعِدةَ مِن سُيولَتِه شَيءٌ.

واستِعمالُ الحُقنةِ أو الإبرةِ غيرِ المُغَذِّيةِ لا يُفسِدُ الصَّومَ، سواءٌ كانت في العَضَلِ أو الوريدِ أو تحتَ الجِلدِ؛ فهي ليست أكلًا ولا شُربًا ولا في معناهما.

أمَّا استِعمالُ الحُقَنِ الوريديَّةِ المُغَذِّيةِ فيُفسِدُ الصِّيامَ؛ لأنَّها في معنى الأكلِ والشُّربِ، والمُتناوَلُ لها يستغني بها عن الأكلِ والشُّربِ.

واستِعمالُ التَّحاميلِ (اللَّبوسِ) في نهارِ رَمَضانَ لا يُفسِدُ الصَّومَ؛ لأنَّها ليست أكلًا ولا شُربًا ولا في معناهما، ولا يَصِلُ إلى المَعِدةِ مِنها شيءٌ، ولأنَّ التَّحاميلَ تحتوي على مادَّةٍ دوائيَّةٍ، وليس فيها سوائِلُ تدخل الجَوفَ.

وإدخالُ القَسطرةِ أو المِنظارِ، أو إدخالُ دواءٍ أو محلولٍ لغَسلِ المثانةِ، أو مادَّةٍ تساعِدُ على وضوحِ الأشعَّةِ: لا يُفَطِّرُ؛ لأنَّه لا عَلاقةَ بَينَ مَسالِكِ البَولِ والجِهازِ الهَضميِّ، والجِسمُ لا يُمكِنُ أن يتغَذَّى مُطلقًا بما يدخُلُ إلى مسالِكِ البَولِ. والأصلُ صحَّةُ الصِّيامِ.

والتَّقطيرُ في فَرجِ المرأةِ غيرُ مُفسِدٍ للصِّيامِ، وكذلك التَّحاميلُ المَهبِليَّةُ وضَخُّ صبغةِ الأشعَّةِ؛ إذ لا مَنفَذَ بَينَ الجهازِ التَّناسُليِّ للمرأةِ وبَينَ الجِهازِ الهَضميِّ.

نَسألُ الله أن يُفقِّهَنا في دينِنا، وأن يُعَلِّمَنا ما يَنفعُنا، ويَنفَعَنا بما عَلَّمَنا.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الخامسُ

ما يُكرَهُ للصَّائمِ وما يُباحُ له

الحَمدُ للهِ حَقَّ حَمدِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبيِّه وعَبدِه، ما تَرَكَ خَيرًا إلَّا دَلَّنا عليه، ولا شَرًّا إلَّا حَذَّرَنا مِنه، القائِلِ: ((إذا أمَرتُكُم بشَيءٍ فأْتوا مِنه ما استَطَعتُم، وإذا نَهَيتُكُم عن شَيءٍ فدَعُوه)).

أمَّا بَعدُ:

فقد يَتوهَّمُ البعضُ أمورًا يظُنُّها محرَّمةً على الصَّائِمِ، وهي في الحقيقةِ لا تَصِلُ إلى التَّحريمِ؛ فقد تكونُ مكروهةً أو مباحةً. وما كان مكروهًا فالأَولى تَركُه؛ لئلَّا يوقِعَ في الزَّلَلِ، وما كان مباحًا فالصَّائمُ فيه في سَعةٍ مِن أمرِه: إن شاء فَعَل، وإن شاء تَرَك، ولا ينبغي الإنكارُ فيه على الآخَرين.

فعلى المُسلِمِ أن يتعَرَّفَ على ذلك ليكونَ على بَيِّنةٍ وبصيرةٍ مِن أمرِه.

أوَّلًا: ما يُكرَهُ للصَّائِمِ.

١- تُكرَهُ المبالغةُ في المضمضةِ والاستِنشاقِ.

فقد صَحَّ عن لَقيطِ بنِ صَبِرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أخبِرْني عن الوُضوءِ. قال: ((أسبِغِ الوُضوءَ، وخَلِّلْ بينَ الأصابِعِ، وبالِغْ في الاستِنشاقِ إلَّا أن تكونَ صائمًا)).

أي: بالِغ في إيصالِ الماءِ إلى أعلى الأنفِ والخَياشِيمِ، إلَّا أن تكونَ صائمًا؛ خوفًا مِن أن يَصِلَ الماءُ إلى الجَوفِ، فيتسبَّبَ في الفِطرِ.

٢- يُكرَهُ الوِصالُ في الصَّومِ.

فقد روى البخاريُّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((لا تُواصِلوا، فأيُّكم إذا أراد أن يواصِلَ فلْيواصِلْ حتَّى السَّحَرِ)).

والنَّهيُ في الحديثِ عن مُواصَلةِ الصَّومِ -بتَركِ الطَّعامِ لَيلًا ونَهارًا، قَصدًا وعَمدًا- محمولٌ على الكراهةِ؛ لأنَّه وقَع رِفقًا ورحمةً وشَفقةً على الأمَّةِ؛ كي لا يشُقَّ عليهم.

٣- يُكرَهُ ذَوقُ الطَّعامِ بغَيرِ حاجةٍ.

لأنَّه قد يَنزِلُ شَيءٌ مِن هذا الطَّعامِ إلى جَوفِ الصَّائِمِ، من غيرِ أن يشعُرَ به، فيكونُ في ذَوقِه له تعريضُ صومِه للفسادِ، وربَّما يكونُ مُشتَهِيًا للطَّعامِ فيتَذوَّقُه؛ ليتلذَّذَ به، وربَّما يمتَصُّه بقُوَّةٍ، فيَنزِلُ إلى جَوفِه.

ثانيًا: ما يباحُ للصَّائِمِ.

١- يُباحُ تأخيرُ الاغتسالِ مِن الجَنابةِ إلى طُلوعِ الفَجرِ.

فقد روى البخاريُّ عن عائشةَ وأمِّ سلَمةَ رضي اللهُ عنهما: ((أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يُدرِكُه الفَجرُ وهو جُنُبٌ مِن أهلِه، ثمَّ يغتَسِلُ ويَصومُ)).

والجَنابةُ تُطلَقُ على كُلِّ مَن أنزَلَ المَنِيَّ أو جامَعَ؛ لاجتِنابِه الصَّلاةَ والعِباداتِ حتَّى يَطهُرَ منها.

٢- يُباحُ للحائِضِ إذا طهُرَتْ أن تؤخِّرَ الاغتسالَ مِنَ الحَيضِ إلى طُلوعِ الفَجرِ.

وذلك قياسًا على الجُنُبِ إذا أخَّرَ اغتسالَه إلى طُلوعِ الفَجرِ، كما تقدَّم.

٣- تُباحُ المَضمضةُ والاستِنشاقُ مِن غيرِ مُبالَغةٍ.

وذلك أمرٌ مجمَعٌ عليه.

٤- يُباحُ الاغتِسالُ والتبَرُّدُ بالماءِ.

فقد صَحَّ عن بعضِ الصَّحابةِ رضي اللهُ عنهم أنَّه قال: ((رأيتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يصُبُّ الماءَ على رأسِه وهو صائِمٌ؛ مِن العَطَشِ، أو مِنَ الحَرِّ)).

٥- يُباحُ ذَوقُ الطَّعامِ عندَ الحاجةِ.

وذلك كمعرفةِ استواءِ الطَّعامِ أو مِقدارِ مُلوحَتِه، أو عندَ شِرائِه لاختِبارِه، بشَرطِ أن يَمُجَّه بعدَ ذلك، أو يَغسِلَ فَمَه، أو يدلُكَ لِسانَه.

فقد صَحَّ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّه قال: (لا بأسَ أن يتطاعَمَ الصَّائمُ من القِدرِ)، ولأنَّه لم يدخُلْ إلى حَلْقِه

شيءٌ، فأشبَهَ المضمضةَ.

٦- تُباحُ القُبلةُ والمُباشَرةُ إذا مَلَكَ نَفسَه.

يُباحُ للصَّائِمِ القُبلةُ والمباشَرةُ فيما دونَ الفَرجِ، بشرْطِ أن يملِكَ نَفسَه.

فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُقَبِّلُ وهو صائمٌ، ويباشِرُ وهو صائِمٌ، ولكِنَّه أملَكُكم لإرْبِه)).

فدلَّ ذلك على أنَّه تُباحُ القُبلةُ والمُباشَرةُ بغيرِ الجِماعِ لَمن يَستطيعُ التَّحكُّمَ في شَهوتِه دونَ مَن لا يَأمَنُ مِن الإنزالِ أو الجِماعِ.

٧- يُباحُ شَمُّ الطِّيبِ والرَّوائِحِ.

وذلك لأنَّه لا يتصاعَدُ إلى جسمِ الصَّائِمِ منها شيءٌ سِوى مجرَّدِ الرَّائِحةِ، والرَّوائحُ عِبارةٌ عن هواءٍ تطيَّبَ بريحِ المِسكِ وشِبهِه، والرَّائحةُ لا جِسمَ لها، فلا تنفُذُ إلى الجَوفِ.

٨- يُباحُ استِعمالُ السِّواكِ.

وذلك في أيِّ وقتٍ، سواءٌ كان قَبلَ الزَّوالِ أو بَعدَه؛ لعمومِ الأحاديثِ الواردةِ في استحبابِ السِّواكِ، دونَ تفريقٍ بَينَ الصَّائِمِ وغيرِه، ولأنَّه تطهيرٌ للفَمِ، فلا يُكرَهُ للصَّائِمِ، كالمَضمَضةِ.

ويجوزُ أن يَستعمِلَ الصَّائِمُ معجونَ الأسنانِ، مع الحَذَرِ مِن نَفاذِه إلى الحَلقِ.

٩- يُباحُ الاكتِحالُ.

وذلك لأنَّ العَينَ ليست مَنفَذًا للجَوفِ.

١٠- يُباحُ استِعمالُ قَطرةِ العَينِ.

وذلك لأنَّ جَوفَ العَينِ لا يتَّسِعُ لأكثرَ مِن قطرةٍ واحدةٍ، فحَجمُها قليلٌ جدًّا، فيُعفى عنها، وذلك أقلُّ مِن القَدرِ المعفوِّ عنه ممَّا يبقى مِن المضمَضةِ. وهذه القَطرةُ تُمتَصُّ أثناءَ مُرورِها في القناةِ الدَّمعيةِ، ولا تصِلُ إلى البُلعومِ، وعندما تُمتصُّ تذهَبُ إلى مناطِقِ التَّذوُّقِ في اللِّسانِ، فيَشعرُ المريضُ بطَعمِها.

١١- يُباحُ استعمالُ قَطرةِ الأذُنِ.

يجوزُ استِعمالُ قَطرةِ الأذُنِ لمن كان صائمًا؛ لأنَّ الأُذُنَ ليستْ مَنفَذًا للطَّعامِ والشَّرابِ.

١٢- يُباحُ أخذ الدَّمِ للتحاليلِ.

يجوزُ للصَّائِمِ الأخذُ من دَمِه لإجراءِ التَّحاليلِ عليه؛ إذ لا تأثيرَ لذلك على البَدَنِ.

اللهُمَّ عَلِّمْنا ما ينفَعُنا، وانفَعْنا بما علَّمْتَنا، وزِدْنا عِلمًا نافِعًا، وارزُقْنا عمَلًا صالحًا متقبَّلًا.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ السَّادسُ

أهلُ الأعذارِ

الحَمدُ للهِ الحكيمِ الخبيرِ، الذي يَسَّرَ لنا هذا الدِّينَ غايةَ التَّيسيرِ، ولَمْ يَجعَلْ علينا فيه مِن حَرَجٍ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ على عَبدِه ورَسولِه المُنزَّلِ عليه قُرآنٌ عَرَبيٌّ غَيرُ ذي عِوَجٍ.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ من رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه أنْ جَعَلَ هذا الشَّرعَ الكريمَ قائمًا على السَّماحةِ واليُسرِ، فسهَّل على النَّاسِ دِينَهم، وشَرَع لهم الرُّخَصَ تخفيفًا عليهم؛ لئلَّا يَقَعَ عليهم ضَرَرٌ، فليس المرادُ من الصِّيامِ أو غيرِه مِن العباداتِ إهلاكَ البَدَنِ ولا إزهاقَ النَّفسِ ولا حصولَ المشقَّةِ، بل حيثُما وُجِدَت المشقَّةُ جَلَبت معها التَّيسيرَ.

يقولُ تعالى عَقِبَ ترخيصِه للمريضِ والمسافرِ الفِطرَ في رمضانَ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فأهلُ الأعذارِ هم مَن يُباحُ لهم الفِطرُ في رمَضانَ، فرَفَع الشَّارعُ عنهم الحَرَجَ، وأذِنَ لهم بتركِ الصِّيامِ دونَ إثمٍ.

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ مِن المُهِمَّاتِ لكُلِّ حريصٍ على التَّفَقُّهِ في الدِّينِ معرفةَ الأعذارِ الشَّرعِيَّةِ التي تُبيحُ له الفِطرَ وما يترتَّبُ عليها مِن أحكامٍ، قد يحتاجُها لنفسِه، أو يُبَيِّنُها لغيرِه.

ومن أهل الأعذار: المريضُ.

إذا خاف المريضُ زيادةَ المَرَضِ بسببِ صيامِه أو كان يشُقُّ عليه فله أن يُفطِرَ؛ لقَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإذا كان المَرَضُ يضُرُّ الصَّائِمَ، وخَشِيَ الهلاكَ بسَبَبِه، فالفِطرُ عليه واجبٌ؛ لعُمومِ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]، فالنَّهيُ هنا يَشمَلُ ما فيه إزهاقٌ للنَّفسِ، وما فيه ضَرَرٌ.

ومَن مَرِضَ مرَضًا لا يؤثِّرُ فيه الصَّومُ، ولا يتأذَّى به -مِثلُ الزُّكامِ أو الصُّداعِ اليَسيرَينِ، أو وجَعِ الضِّرسِ، وما أشبَهَ ذلك- فلا يحِلُّ له أن يُفطِرَ.

وإذا أفطَرَ مَن كان به مرضٌ يُرجى شفاؤه ثمَّ شُفِيَ، وجَب عليه قضاءُ ما أفطَرَه من أيَّامٍ؛ لقَولِ اللهِ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وإذا أفطَرَ مَن به مَرَضٌ لا يُرجى شفاؤه، فإنَّه يُطعِمُ عن كلِّ يومٍ مسكينًا؛ إلحاقًا له بالشَّيخِ الكبيرِ والمرأةِ العجوزِ؛ لقَولِه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ [البقرة:١٨٤]؛ لأنَّه في معناهما.

وإذا تحامَلَ المريضُ على نفسِه فصامَ فإنَّه يُجزئُهُ؛ لأنَّ الصَّومَ عزيمةٌ أُبيحَ تركُها رُخصةً، فإذا تحمَّلَه أجزَأَه.

ومِن أهلِ الأعذارِ: المسافِرُ.

يجوزُ للمُسافِرِ أن يُفطِرَ؛ لقَولِ اللهِ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وثبت عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ اللهَ وضَع عن المسافرِ الصَّومَ وشَطرَ الصَّلاةِ)).

وأخرج البُخاريُّ ومسلمٌ أنَّ أنَسًا رَضِيَ اللهُ عنه سُئِل عن صَومِ رَمَضانَ في السَّفَرِ فقال: ((سافَرنا مع رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في رَمَضانَ، فلم يَعِبِ الصَّائمُ على المُفْطِرِ، ولا المُفْطِرُ على الصَّائمِ)).

فكانوا يُسافِرونَ مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ فمنهم مَن يَقْوى على الصَّومِ فيَصومُ، ومنهم مَن لا يَقْوى فيُفطِرُ، والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُقِرٌّ لهم على تلك الحالِ، فلا يَلومُ ولا يَعيبُ الصَّائمُ على مَن أفطَرَ؛ لأنَّه عَمِل بالرُّخصةِ، ولا يُنكِرُ مَن أفطَرَ على مَن صامَ وترَكَ الرُّخصةَ وعَمِلَ بالعزيمةِ بما عندَه مِن قُوَّةٍ وقُدرةٍ، وهذا مِن كَمالِ أدَبِهم رَضِيَ اللهُ عنهم، وتَمامِ فِقهِهم.

وإذا شقَّ الصَّومُ على المسافِرِ، بحيث يكونُ الفِطرُ أرفَقَ به، فالفِطرُ في حقِّه أفضَلُ؛ لأنَّ ارتكابَ المَشقَّةِ مع وجودِ الرُّخصةِ فيه إعراضٌ عن رُخصةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

ويُباحُ الفِطرُ لمَن كان سَفَرُه شِبهَ دائمٍ، كسائِقي الطَّائراتِ والقِطاراتِ والشَّاحناتِ ونحوِهم، إذا كان له بلدٌ يأوي إليه.

وإذا دخَل على المسافِرِ شهرُ رَمَضانَ وهو في سفَرِه فله الفِطْرُ.

وإذا سافر أثناءَ الشَّهرِ، وخرج مِن بلدَتِه قَبلَ الفَجرِ، فله الفِطرُ في صبيحةِ اللَّيلةِ الَّتي يخرُجُ فيها وما بَعدَها.

وإذا سافَرَ أثناءَ نَهارِ رمَضانَ، وخرج من بلَدِه، فله أن يُفطِرَ.

ويُباحُ الإفطارُ للمُسافِرِ، ولو كان سَفَرُه بوسائِلِ النَّقلِ المريحةِ، سواءٌ وجَدَ مشقَّةً أو لم يجِدْها.

وإذا أفطَرَ المسافِرُ وجب عليه قضاءُ ما أفطَرَه مِن أيَّامٍ؛ لقَولِ اللهِ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ومِن أهلِ الأعذارِ: الكبيرُ والعجوزُ.

يُباح الفِطرُ للشَّيخِ الكبيرِ والمرأةِ العَجوزِ، اللَّذَينِ لا يُطيقانِ الصَّومَ، وعليهما أن يُطعِما عن كلِّ يومٍ مسكينًا؛ لقَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقد روى البخاريُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّه قال في معنى هذه الآيةِ: (هو الشَّيخُ الكبيرُ والمرأةُ الكبيرةُ لا يستطيعانِ أن يصوما، فيُطعِمانِ مكانَ كُلِّ يومٍ مِسكينًا).

ومِن أهلِ الأعذارِ: الحامِلُ والمُرضِعُ.

يُباحُ للحامِلِ والمرضِعِ الفِطرُ في رَمَضانَ، سواءٌ خافتَا على نَفسَيهِما أو على وَلَدَيْهما.

فقد ثبَت عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ اللهَ وضَع عن المسافرِ الصَّومَ وشَطرَ الصَّلاةِ، وعن الحامِلِ والمرضِعِ الصَّومَ -أو الصِّيامَ-)).

وإذا أفطَرَتِ الحامِلُ والمرضِعُ خوفًا على نَفسَيْهما أو وَلَديهما فعليهما القضاءُ فقط، ولا فِديةَ عليهما؛ لأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قرَن الحامِلَ والمُرضِعَ بالمُسافِرِ، وجَعَلَهما معًا في معنًى واحدٍ، فصار حُكمُهما كحُكمِه، وليس على المسافِرِ إلَّا القضاءُ.

ومِن أهلِ الأعذارِ: المرهَقُ من جُوعٍ أو عَطَشٍ يخشى مِنه الهلاكَ.

مَن أرهَقَه جوعٌ أو عطَشٌ شديدٌ يَخافُ منه الهلاكَ، فإنَّه يجِبُ عليه الفطرُ، وعليه القضاءُ؛ لعُمومِ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فالنَّهيُ هنا يَشمَلُ ما فيه إزهاقٌ للنَّفسِ، وما فيه ضَرَرٌ.

هذه أهمُّ المسائلِ المتعلقةِ بأهلِ الأعذارِ الذين يرخَّصُ لهم في الفطْرِ، نسألُ الله أن يعلِّمَنا ما ينفعُنا وأنْ ينفعَنا بما علَّمنا وأنْ يزيدَنا علمًا.

رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إن نَسينا أو أخطَأنا، واغفِرْ لنا جِدَّنا وهَزْلَنا، وخَطَأَنا وعَمْدَنا، وكُلُّ ذلك عِندَنا،

اللهُمَّ اغفِرْ لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسْرَرْنا وما أعلَنَّا، وما أنتَ أعلَمُ به مِنَّا،

أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المُؤَخِّرُ، وأنتَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ.

واللهُ أعلمُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ السَّابعُ

الفِطرُ والسُّحورُ أحكامٌ وآدابٌ

الحَمدُ للهِ الذي هدانا للإسلامِ، وفَصَّل لنا الأحكامَ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على خيرِ الأنامِ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ للفطرِ والسُّحورِ أحكامًا وآدابًا يَنْبغي على المسلمِ أنْ يتعلَّمَها، خاصَّةً وأنهما يتكرَّرانِ كلَّ ليلةٍ مِن ليالي الصِّيامِ.

ومن هذه الأحكامِ والآدابِ:

أوَّلًا: الفِطرُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وفي الصَّحيحَينِ عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إذا أقبَلَ اللَّيلُ مِن هاهنا، وأدبَر النَّهارُ مِن هاهنا، وغَرَبت الشَّمسُ، فقد أفطَر الصَّائِمُ)).

ويُسَنُّ تعجيلُ الإفطارِ.

فروى الشَّيخانِ عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لا يزالُ النَّاسُ بخَيرٍ ما عجَّلوا الفِطرَ)).

وإنَّما كان تَعجيلُ الفِطرِ خَيرًا؛ لأنَّه أحفَظُ للقوَّةِ، وأرفَعُ للمَشقَّةِ، وأبعَدُ عن الغُلوِّ والبِدعةِ.

وصحَّ عن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قال: ((ما رأيتُ رسولَ اللهِ قَطُّ صلَّى صلاةَ المغرِبِ حتَّى يُفطِرَ، ولو على شَربةٍ مِن ماءٍ)).

فتَعجيلُ الإفطارِ من هَدْيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فكان يُعجِّلُ إفطارَه قَبلَ صَلاةِ المَغرِبِ وهو صائِمٌ، فإن لم يَجِدْ شيئًا يأكُلُه شَرِبَ ماءً.

وقد صحَّ عن أبي عَطيَّةَ أنَّه قال: ((قُلتُ لعائشةَ: فينا رجلانِ مِن أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أحَدُهما يُعَجِّلُ الإفطارَ

ويُؤَخِّرُ السُّحورَ، والآخَرُ يُؤَخِّرُ الإفطارَ ويُعَجِّلُ السُّحورَ. قالت: أيُّهما الَّذي يُعَجِّلُ الإفطارَ ويُؤَخِّرُ السُّحورَ؟ قلتُ: عبدُ اللهِ ابنُ مَسعودٍ. قالت: هكذا كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يصنَعُ)).

وفي تعجيلِ الإفطارِ مُخالفةٌ لأهلِ الكِتابِ.

فثبت عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لا يزالُ الدِّينُ ظاهرًا ما عجَّل النَّاسُ الفِطْرَ؛ لأنَّ اليهودَ والنَّصارى يؤخِّرونَ)).

أي: يؤخِّرون إفطارَهم إذا كانوا صائِمِينَ، فبيَّن أنَّ سببَ هذا التَّعجيلِ هو مخالفةُ اليَهودِ والنَّصارى، وأنَّ مخالفَتَهم من أسبابِ ظُهورِ الإسلامِ.

ويُسَنُّ لمن أفطرَ عِندَ غَيرِه أن يدعوَ له.

فصَحَّ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان إذا أفطرَ عِندَ ناسٍ قال: ((أفطرَ عِندَكم الصَّائمون، وأكَل طعامَكم الأبرارُ، وتنَزَّلَت عليكم الملائِكةُ)).

وهذا من جَميلِ الآدابِ الَّتي تَزيدُ التَّآلُفَ والمحبَّةَ.

ثانيًا: السُّحورُ.

السُّحُورُ (بضَمِّ السِّينِ): هو تناولُ الطَّعامِ وَقتَ السَّحَرِ لِمَن نوى الصِّيامَ. وهو (بفَتحِ السِّينِ): الطَّعامُ الَّذي يُؤكَلُ في هذا الوَقتِ.

ويُستحَبُّ لِمَن أراد الصِّيامَ أن يتسحَّرَ.

ففي الصَّحيحَينِ عن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((تسَحَّروا؛ فإنَّ في السَّحورِ بَرَكةً)).

وأتى التَّأكيدُ على أكلةِ السَّحَرِ؛ لأنَّ هذا الوَقتَ مَظِنَّةُ النَّومِ عندَ أغلَبِ النَّاسِ، فلرُبَّما غَلَبَهم النَّومُ ولذَّتُه عن القيامِ لتناولِ السَّحورِ، فأضعَفَ ذلك نشاطَهم في النَّهارِ.

ويُسَنُّ للصَّائمِ تأخيرُ السُّحورِ ما لم يَخشَ طلوعَ الفَجرِ.

فروى البُخاريُّ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه ((أنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وزيدَ بنَ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عنه تسَحَّرا، فلمَّا فَرَغا مِن سَحورِهما، قام نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى الصَّلاةِ، فصَلَّى، فقُلْنا لأنسٍ: كم كان بَينَ فراغِهما من سَحورِهما ودُخولِهما في الصَّلاةِ؟ قال: كقَدرِ ما يَقرَأُ الرَّجُلُ خمسينَ آيةً)).

فبعدَ فَراغِهما مِن السَّحورِ قامَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى صَلاةِ الصُّبحِ فصَلَّاها، وهذا يدُلُّ على تَأخيرِ السُّحورِ إلى قُبَيلِ صَلاةِ الفَجرِ مُباشَرةً.

والسَّحورُ بَرَكةٌ.

ففي الصَّحيحَينِ عن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((تسَحَّروا؛ فإنَّ في السَّحورِ بَرَكةً)).

وصحَّ أنَّ رجُلًا من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دخَل على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو يتسَحَّرُ، فقال: ((إنَّها بَرَكةٌ أعطاكم اللهُ إيَّاها، فلا تَدَعوه)).

وهذا يوضِّحُ أهمِّيةَ السُّحورِ للصَّائمِ، وأنَّ هذه الأَكْلةَ فيها بَرَكةٌ مادِّيةٌ ومَعنويَّةٌ له.

ومِن تلك البَرَكاتِ: التَّقَوِّي على العبادةِ عمومًا، والتَّقَوِّي على صِيامِ اليومِ، وزيادةُ النَّشاطِ، ومُدافعةُ سُوءِ الخُلُقِ الَّذي قد يُثيرُه الجوعُ، وفيه تدارُكُ نيَّةِ الصَّومِ لِمَن أغفَلَها قَبلَ أن ينامَ.

ووَقتُ السُّحورِ وَقتٌ مُبارَكٌ.

فهو وَقتُ النُّزولِ الإلهيِّ كما يليقُ بجَلالِ اللهِ وعَظَمتِه.

ففي الصَّحيحَينِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((يَنزِلُ رَبُّنا تبارك وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، فيقولُ: مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألُني فأُعطيَه؟ مَن يَستَغفِرُني فأغفِرَ له؟)).

وقد أثنى الرَّبُّ سُبحانَه على المُستَغفِرين في هذا الوَقتِ، فقال: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

والقيامُ للسُّحورِ سَبَبٌ لإدراكِ هذه الفَضائِلِ، ونَيلِ بَركاتِ الدُّعاءِ والاستغفارِ بإذنِ اللهِ.

وفي السُّحورِ مُخالفةٌ لأهلِ الكِتابِ.

روى مُسلِمٌ عن عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((فَصلُ ما بَينَ صِيامِنا وصِيامِ أهلِ الكتابِ أَكلةُ السَّحَرِ)).

فهُم لا يَتسحَّرون، ونحنُ مَأمورونَ بالسُّحورِ.

ويُسَنُّ التَّسَحُّرُ بالتَّمرِ.

فصَحَّ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((نِعمَ سَحورُ المؤمِنِ التَّمرُ)).

أي: مِن خيرِ ما يَأكُلُه المؤمِنُ عِندَ وقتِ السَّحَرِ استِعدادًا للصِّيامِ: التَّمرُ.

نسألُ اللهَ أن يُعينَنا على اتِّباعِ سُنَّةِ نبيِّه، والالتزامِ بهَديِه في كُلِّ شأنٍ وفي كُلِّ حينٍ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الثَّامنُ
رَمَضانُ والقُرآنُ

الحَمدُ للهِ الذي أنزَل القُرآنَ، هُدًى للنَّاسِ وبَيِّناتٍ مِن الهُدى والفُرقانِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن بيَّنه أتمَّ بيانٍ، محمَّدٍ خَيرِ خَلقِ الله وأفضَلِ رُسُلِه؛ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ للقرآنِ خُصوصيَّةً في شَهرِ رَمَضانَ لا يُدانيه فيها شَهرٌ آخَرُ؛ ففيه أنزَلَ اللهُ القُرآنَ، قال اللهُ تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أنزَلَه اللهُ سُبحانَه في ليلةٍ عَظيمةِ القَدرِ مُبارَكةٍ مِن ليالي هذا الشَّهرِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وقال سُبحانَه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

وفي الصَّحيحَين عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كانَ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ يَلْقَاهُ [أي النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم] في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ))، ففي مدارسةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم القُرآنَ مع جِبريلَ في هذا الشَّهرِ أوضَحُ إشارةٍ إلى أنَّه أَوْلَى الشُّهورِ بذلك؛ لِما له مِن خُصوصيَّةٍ وارتِباطٍ بالقُرآنِ.

بَل إنَّ صَلاةَ التَّراويحِ مِن أجَلِّ مَقاصِدِها سَماعُ القُرآنِ يُتلى في هذه اللَّيالي المُبارَكاتِ.

وقد كان الصَّالحون مِن هذه الأمَّةِ يَزدادُ إقبالُهم على القُرآنِ في شَهرِ رَمَضانَ في الصَّلاةِ وغَيرِها، وكانوا يُكثِرونَ مِن تِلاوتِه، وتَكرارِ خَتمِه؛ اغتِنامًا للزَّمانِ المُبارَكِ.

فما أحوَجَنا -أيُّها الإخوةُ- إلى الإقبالِ على كتابِ اللهِ تعالى! يقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وفي صحيحِ مُسلِمٍ من حديثِ أبي أُمامةَ الباهِليِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((اقرَؤُوا القُرآنَ؛ فإنَّه يَأتي يومَ القيامةِ شَفيعًا لأصحابِه)).

وفي صحيحِ مُسلِمٍ -أيضًا- عن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((وما اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوتِ اللهِ يَتلونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسونَه بَينَهم، إلَّا نَزَلت عليهمُ السَّكينةُ، وغَشيَتهمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ المَلائِكةُ)).

وثبت عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضِيَ اللهُ عنهما، أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ: اقرَأْ وارتَقِ، ورَتِّلْ كَما كُنتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا؛ فإنَّ مَنزِلَك عِندَ آخِرِ آيةٍ تَقرَؤُها)).

فينبغي -أيُّها الإخوةُ- تعاهُدُ القُرآنِ، والحَذَرُ مِن هَجرِه في رَمَضانَ وفي غيرِ رَمَضانَ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، ففي هذِه الآيةِ تنبيهٌ للمسْلمِ ليَكونَ كَثيرَ التَّعاهُدِ للقُرآنِ؛ كَي لا يَكونَ مِن الهاجِرينَ له.

ومِن صُوَرِ هَجرِ القرآنِ التي تدخُلُ في الآيةِ: هَجرُ العَمَلِ به والوُقوفِ عندَ حَلالِه وحَرامِه، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]، فقولُه: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يَتَّبِعونَه حَقَّ اتِّباعِه، ويَعمَلونَ به حَقَّ عَمَلِه.

وقد ضَرب اللهُ تعالى لليَهودِ الذينَ تَركوا العَمَلَ بالتَّوراةِ مَثَلًا، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، فشَبَّهَهم بالحِمارِ الَّذي لا يَعقِلُ ما يَحمِلُ؛ إذ لم يَنتَفِعوا بما في التَّوراةِ، وهذا المَثَلُ يَلحَقُ مَن لم يَعمَلْ بالقُرآنِ ولم يَفهَمْ مَعانيَه.

وتأمَّلوا حالَ أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ فعن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (كان الرَّجُلُ مِنَّا إذا تَعَلَّمَ عَشرَ آياتٍ لم يُجاوِزْهنَّ حتَّى يَعرِفَ مَعانيَهنَّ والعَمَلَ بهنَّ).

وقال الحَسَنُ البَصريُّ: (إنَّ مَن كان قَبلَكُم رَأوه [أي: القرآنَ] رَسائِلَ إليهم مِن رَبِّهم، فكانوا يَتَدَبَّرونَها باللَّيلِ، ويُنَفِّذونَها بالنَّهارِ).

وعنِ الفُضَيلِ بن عياضٍ، قال: (إنَّما نَزَل القُرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخَذَ النَّاسُ قِراءَتَه عَمَلًا)، قيل: كَيف العَمَلُ به؟ قال: (أي: ليُحِلُّوا

حَلالَه ويُحَرِّموا حَرامَه، ويَأتَمِروا بأوامِرِه، ويَنتَهوا عن نَواهيه، ويَقِفوا عِندَ عَجائِبه).

فكيف يتعامَلُ مُسلِمٌ بالرِّبا، وهو يقرأُ ويَسمَعُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]؟

وكيف يُفَرِّطُ في الصَّلاةِ وهو يقرَأُ ويَسمَعُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؟

وكيف تتساهَلُ المرأةُ في حِجابِها وتتهاوَنُ به وهي تقرَأُ وتَسمَعُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وقَولَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؟

وكيف يتساهَلُ الرِّجالُ والنِّساءُ في إطلاقِ البَصَرِ إلى المحَرَّماتِ وهم يقرؤون ويَسمَعون قَولَ اللهِ تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]؟

فما أحْرانا -أيُّها الأحِبَّةُ- في هذا الشَّهرِ -شَهرِ القُرآنِ- أن نُقبِلَ عليه تلاوةً وسَماعًا، وأن نتدَبَّرَه ونتفَهَّمَ معانيَه، وأن نمتَثِلَ أوامِرَه، وأن ننتهيَ عن نواهيه!

نسألُ اللهَ عزَّ وجَلَّ أن يجعَلَنا من أهلِ القُرآنِ؛ فهم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه،

وأن يُنَوِّرَ بصائِرَنا بكتابِه، ويهدِيَنا به إلى جنَّاتِه.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ التَّاسعُ
رَمَضانُ فُرصةٌ للتَّغيُّرِ

الحَمدُ للهِ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على مَن نَزَلَ عليه الفُرْقانُ ليكونَ للعالمينَ نذيرًا، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ.

أمَّا بَعدُ:

فبعدَ انقِضاءِ رَمَضانَ الماضي ربَّما وقف البعضُ على حقيقةٍ مؤلِمةٍ، تتردَّدُ أصداؤها في نفسِه فتملؤه حُزنًا، مفادُها: أنه بعد رمضانَ رَجَع إلى عاداتِه السَّيِّئةِ التي كان يعتادُها، ورَجَع إلى المحرَّماتِ والتَّفريطِ في الطَّاعاتِ والواجِباتِ.

حينَئذٍ يُعاتِبُ المسلمُ الصَّادقُ نَفسَه: كنتُ قادرًا على تغييرِ نفسي لكنَّني تكاسَلتُ أو تعلَّلتُ بالأشغالِ.

كان بإمكاني فِعلُ كثيرٍ من الطَّاعاتِ، لكنَّني تقاعَستُ!

كان بإمكاني الامتناعُ عن الذُّنوبِ، فلم أقوَ على تركِها!

وها هو رَمَضانُ قد أقبل، فهل نتغيَّرُ أم نعودُ إلى التَّكاسُلِ والتَّعَلُّلِ؟ أنستَغِلُّ الفُرصةَ فيتبَدَّلُ مسارُ حياتِنا؟ أم نُهدِرُ الأوقاتَ فتنسَلُّ من بينِ أيدينا فارغةً؟

أيُّها الأحبَّةُ:

إنَّ لشَهرِ رَمَضانَ تميُّزًا عن بقيَّةِ الشُّهورِ، فهو فرصةٌ حقيقيَّةٌ لتغييرِ النَّفسِ وإصلاحِها.

فحريٌّ بالمؤمِنِ أن يجعَلَ رَمَضانَ موسِمًا للتَّغييرِ باكتسابِ الفضائِلِ والتَّخَلِّي عن الرَّذائِلِ.

وإنَّ من أبرَزِ وسائِلِ التَّغييرِ في رَمَضانَ: حُضورَ مجالِسِ الذِّكرِ وأماكِنِ العبادةِ، فيتعَلَّقُ قَلبُه بالمساجِدِ، ويُكثِرُ الخُطا إليها، وينتَظِرُ الصَّلاةَ بَعدَ الصَّلاةِ، وممَّا يُقَوِّي هِمَّتَه ويَشُدُّ عزيمتَه كَثرةُ المُقبِلين على المساجِدِ في رَمَضانَ.

ففي صحيحِ مُسْلمٍ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ألا أدُلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا، ويرفَعُ به الدَّرَجاتِ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: إسباغُ الوُضوءِ على المكارِهِ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجِدِ، وانتِظارُ الصَّلاةِ بَعدَ

الصَّلاةِ، فذلكم الرِّباطُ، فذلكم الرِّباطُ)).

فسَمَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هذه الأعمالَ مُرابَطةً؛ لكَونِها تَسُدُّ طُرُقَ الشَّيطانِ على النَّفسِ، وتَقهَرُ الهَوى.

وروى البُخاريُّ ومُسلِمٌ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((صلاةُ الرَّجُلِ في الجماعةِ تُضَعَّفُ على صلاتِه في بيتِه وفي سوقِه خَمسًا وعِشرين ضِعفًا؛ وذلك أنَّه إذا توضَّأ فأحسنَ الوُضوءَ، ثم خَرَج إلى المسجِدِ، لا يخرِجُه إلَّا الصَّلاةُ، لم يَخْطُ خَطوةً إلَّا رُفِعَت له بها درَجةٌ، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ، فإذا صلَّى لم تَزَلِ الملائكةُ تُصَلِّي عليه ما دام في مُصَلَّاه: اللَّهُمَّ صَلِّ عليه، اللَّهُمَّ ارحمْه، ولا يزالُ أحَدُكم في صلاةٍ ما انتظَرَ الصَّلاةَ)).

أخي الحبيبَ:

إنَّ الاختلاطَ بالصَّالحين في أشرَفِ عَمَلٍ -وهو الصَّلاةُ- وفي أحَبِّ البِقاعِ إلى اللهِ تعالى -وهي المساجِدُ- مع حُضورِ الملائِكةِ وصَلاتِهم على العبدِ: له أثَرُه العظيمُ في هدايتِه وصَلاحِه بإذنِ اللهِ تعالى.

فهذا الوَسَطُ الإيمانيُّ والصُّحبةُ الطَّيِّبةُ، مع الابتِعادِ عن رِفاقِ السُّوءِ: له أثَرُه في التَّغييرِ المنشودِ.

كما أنَّ الصَّلاةَ نَفسَها من أعظَمِ أسبابِ التَّغييرِ، فقد قال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالعَبدُ المتمِّمُ لأركانِها وشُروطِها وخُشوعِها يَستنيرُ قَلبُه، ويَزدادُ إيمانُه، وتَقوى رغبتُه في الخيرِ، وتَقِلُّ أو تَعدَمُ رَغبتُه في الشَّرِّ.

وقد ثبت عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قال: ((جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: إنَّ فُلانًا يُصَلِّي باللَّيلِ، فإذا أصبَحَ سَرَق! قال: إنَّه سينهاهُ ما تَقولُ)).

أخي المسلمَ:

إنَّ رَمَضانَ لفُرصةٌ عظيمةٌ للانتصارِ على هوى النَّفسِ وترويضِها، وغَرسِ فضائِلَ عُليا فيها.

وإذا كان الإنسانُ قد ترَك باختيارِه ما أبيحَ له من الطَّعامِ والشَّرابِ والنِّكاحِ في ساعاتِ النَّهارِ دونَ أن يراه أحَدٌ سوى اللهِ عزَّ وجَلَّ، فهو بذلك يخطو خَطوةً عظيمةً نحوَ تربيةِ النَّفسِ على تَركِ ما حرَّمه اللهُ تعالى في سائِرِ الأوقاتِ، وعلى مراقبةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وخشيتِه.

وإنَّ في رَمَضانَ لفُرصةً كبيرةً للانتصارِ على العاداتِ السَّيِّئةِ التي تسيطِرُ على العبدِ؛ فإنَّ النَّفسَ إذا فُطِمَت عن العاداتِ السَّيِّئةِ

طيلةَ هذا الشَّهرِ كان أعوَنَ لها أن يَفطِمَها بقيَّةَ عامِه، بل عُمُرَه كُلَّه.

أخي المسلمَ:

إنَّ في رَمَضانَ فرصةٌ لتغييرِ عاداتِ الأكلِ والشُّربِ، والإسرافِ فيهما والتَّفنُّنِ في إعدادِ الأطعِمةِ والمشروباتِ.

وقد ذمَّ اللهُ تعالى الكُفَّارَ الذين لا هِمَّةَ لهم سوى الأكلِ والتَّمتُّعِ بملذَّاتِ الدُّنيا، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ [محمد: ١٢].

وروى البخاريُّ ومُسلِمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((المؤمِنُ يأكُلُ في مِعًى واحدٍ، والكافِرُ يأكُلُ في سَبعةِ أمعاءٍ)).

فهذا تَمثيلٌ لرِضَا المؤمنِ باليَسيرِ مِنَ الدُّنيا، وحِرصِ الكافرِ على الكَثيرِ مِنها، فهَمُّ المُؤمِنِ مَرضاةُ ربِّه تعالى لا التَّوسُّعُ في المأكولِ؛ فيَكفيهِ القليلُ، وعَكسُه الكافرُ؛ فهَمُّه الاستمتاعُ بالطَّيِّباتِ في الدُّنيا، فيَأكُلُ بنَهَمٍ وشَراهةٍ ولا يكتفي، فكأنَّه يَأكُلُ في سَبعةِ أمعاءٍ، مع عدَمِ وُجودِ البرَكةِ.

واحذَرْ يا عَبدَ اللهِ مِنَ الانشِغالِ بوسائِلِ التَّواصُلِ الاجتِماعيِّ، وقضاءِ السَّاعاتِ في تقليبِها والتنقلِ بينها دونَ نَفعٍ يعودُ عليك في دِينِك أو دُنياك؛ فإنَّها من أكبَرِ المُثَبِّطاتِ عن فِعلِ الخيرِ، وإحداثِ التَّغييرِ المنشودِ.

وجرِّبْ يومًا أن لا تنشَغِلَ بهذه الأمورِ، وانظُرْ بَعدَها كم أنجَزتَ في تلاوةِ القرآنِ وتدَبُّرِه، وكم استَفَدْتَ من وقتِك بما يعودُ بالنَّفعِ عليك.

فكنْ جادًّا وحازِمًا قَبلَ أن يخرُجَ رَمَضانُ وأنت في غايةِ الحَسرةِ على فواتِه.

أيُّها الأخُ الحبيبُ:

إنَّ رَمَضانَ فُرصةٌ لتصحيحِ العَلاقةِ مع اللهِ تعالى.

فُرصةٌ لتغييرِ السُّلوكيَّاتِ.

فُرصةٌ للتَّغيُّرِ في التَّعامُلِ مع النَّاسِ.

فُرصةٌ للتَّخَلِّي عن كُلِّ خُلُقٍ مَنبوذٍ، والتَّحَلِّي بكُلِّ خُلُقٍ محمودٍ.

فبادِرْ فورًا بوَضعِ خُطَّتِك لإنجازِ مَشروعِ التَّغيُّرِ في رَمَضانَ، واستَعِنْ باللهِ، وتوكَّلْ عليه، وأكثِرْ مِن دُعائِه.

اللهُمَّ غَيِّرْ أحوالَنا إلى الأفضَلِ والأرشَدِ، ونَسألُكَ يا رَبَّنا إيمانًا لا يَرتَدُّ، ونَعيمًا لا يَنفدُ،

ومُرافقةَ نَبيِّكَ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أعلى جِنانِ الخُلدِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ العاشرُ

رَمَضانُ وتربيةُ الأولادِ

الحَمدُ للهِ العَزيزِ الغَفَّارِ، أمَرَ بأن نَقِيَ أنفُسَنا وأهلينا مِن النَّارِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ المُختارِ، ما تَعاقَبَ اللَّيلُ والنَّهارُ.

أمَّا بَعدُ:

فقد قال اللهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وفي الصَّحيحينِ عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ كلَّ راعٍ مَسؤولٌ عن رعيَّتِه)).

وانطِلاقًا مِن هذه الآيةِ وهذا الحَديثِ فإنَّ المُسلِمَ يَستَشعِرُ المَسؤوليَّةَ الَّتي تُناطُ به تِجاهَ أولادِه، وأهمِّيَّةَ تَربيَتِهم وتَوجيهِهم لِما فيه نَفعُهم في الدُّنيا والآخِرةِ.

والدَّعوةُ الحثيثةُ إلى الاجتهادِ في رَمَضانَ لا تعني أن يتفَرَّغَ المُربِّي لنفسِه ويَنسى مَن تحتَ مسؤوليَّتِه.

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ لرَمَضانَ وَقْعًا كبيرًا في نفوسِ أبنائِنا وبناتِنا؛ لكثرةِ ما يتردَّدُ على مسامِعِهم عنه، واهتمامِ النَّاسِ به، وعَبْرَ ارتباطِهم فيه بنظامِ حياةٍ يخالفُ نظامَ الحياةِ المعتادِ، وكُلُّ هذا يُشعِرُهم بأنَّ رَمَضانَ ليس شهرًا كبقيَّةِ الشُّهورِ، وهذا الشُّعورُ ينبغي استثمارُه بتوجيهِ الحديثِ إليهم عن معنى رَمَضانَ وأهمِّيَّتِه وأخلاقِ الصَّائمين فيه؛ وتعويدِهم على الطَّاعاتِ، وزرعِ عظَمةِ رَمَضانَ في نفوسِهم، وليس هو مجرَّدَ ذكرياتٍ جميلةٍ فحَسْبُ، بل يَغرِسُ كذلك آثارًا إيجابيَّةً عميقةً في نُفوسِهم.

ومِن أهَمِّ جوانِبِ الاستفادةِ مِن رَمَضانَ لتربيةِ الأولادِ: تَقويةُ العَقيدةِ والمَعاني الإيمانيَّةِ في نُفوسِهم.

وخصوصًا مع انتشارِ موجاتِ الإلحادِ الَّتي غزت حتَّى الأطفالَ، مع سهولةِ الوُقوعِ فيه بشُبُهاتٍ واهيةٍ تنطلي على عقولِهم الصَّغيرةِ.

فيُعَمِّقُ الوالِدُ والمُربِّي صِلةَ النَّشءِ باللهِ مِن خِلالِ العِباداتِ الَّتي تُؤَدَّى في رَمَضانَ؛ طَلَبًا لمَرضاتِه سُبحانَه، ويُعَمِّقُ صِلتَهم بكِتابِه الَّذي يُقبِلونَ على قِراءَتِه وتَدارُسِه، وصِلتَهم برَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الَّذي يَتَذاكرونَ حَديثَه، وباليَومِ الآخِرِ الَّذي يَلتَمِسونَ

فيه الأجرَ الَّذي وُعِدوا به، ففيه يَفرَحُ الصَّائِمُ إذا لَقِيَ رَبَّه ونالَ أجرَه، ويَتَشَوَّفُ إلى الدُّخولِ مِن بابِ الرَّيَّانِ، ويَنشَرِحُ صَدرُه إذا عَلِمَ أنَّ أبوابَ الجَنَّةِ تُفتَّحُ، وأنَّ أبوابَ النَّارِ تُغلَّقُ في رَمَضانَ، إلى غَيرِ ذلك.

ومِن أهَمِّ الجوانِبِ الَّتي ينبغي أن يحرِصَ عليها كُلُّ مُرَبٍّ: التَّشجيعُ على الصِّيامِ ولو بمكافآتٍ محفِّزةٍ.

فيُؤمَرُ الأطفالُ بالصِّيامِ ويُشجَّعون عليه حتَّى يَتعَوَّدوه، ولا يَشُقَّ عليهم فيما بَعدُ.

روى الشَّيخانِ عن الرُّبَيِّعِ بنتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((أرسَلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم غداةَ عاشوراءَ إلى قُرى الأنصارِ: مَن أصبح مُفطِرًا فلْيُتِمَّ بقيَّةَ يَومِه، ومَن أصبَحَ صائِمًا فلْيَصُمْ. فكنَّا نصومُه بَعدُ، ونُصَوِّمُ صِبيانَنا، ونجعَلُ لهم اللُّعبةَ مِن العِهنِ -أي: الصُّوفِ المصبوغِ- فإذا بكى أحدُهم على الطَّعامِ أعطَيْناه ذاك حتَّى يكونَ عِندَ الإفطارِ)).

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن صيامِ رَمَضانَ: تعليمُ الإخلاصِ والمراقَبةِ للهِ تعالى ومراعاةِ حُدودِه.

فالصَّومُ عبادةٌ يتعَلَّمُ منها الصَّغيرُ الإخلاصَ الحقيقيَّ للهِ، ومراقَبَتَه وحدَه في السِّرِّ. فهو يمتنِعُ عن الطَّعامِ والشَّرابِ، وبإمكانِه أن يأكُلَ خُفيةً، لكِنَّه يتربَّى على تَركِ ذلك؛ لأنَّه يَستَشعِرُ مُراقَبةَ اللهِ له واطِّلاعَه عليه. وفي ذلك تنميةٌ للوازِعِ الدِّينيِّ لدَيه، فيمنَعُه مِن فِعلِ ما لا يحِلُّ لهُ وإن كثُرت مُغرَياتُه.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن صيامِ رَمَضانَ: تعَلُّمُ الصَّبرِ وتقويةُ الإرادةِ.

فالطِّفلُ تَشتَدُّ عَزيمتُه وتقْوى إرادتُه بالبُعدِ عن الطَّعامِ رَغمَ الجوعِ، وعن الماءِ رَغمَ العَطَشِ، وهما في مُتناوَلِ يَدَيه.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن صِيامِ رَمَضانَ: تعظيمُ قَدرِ النِّعمةِ.

فحينَ يُحرَمُ الطِّفلُ الصَّائمُ لساعاتٍ مِن الأكلِ والشُّربِ سيَشعُرُ بقَدرِ النِّعمةِ، ويحِنُّ إليها، وهي الَّتي كانت دائمًا بَينَ يَدَيه، فإذا فَقَدها شَعَر بقيمتِها، ويُوَجَّهُ إلى شُكرِ اللهِ تَعالى عليها.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن صيامِ رَمَضانَ: تعزيزُ الشُّعورِ بالمُحتاجينَ.

فصيامُ الأبناءِ أو البناتِ عن الطَّعامِ والشَّرابِ يُنَمِّي الإحساسَ بمعاناةِ المحتاجينَ، وفي ذلك شعورٌ بالانتماءِ إلى الأمَّةِ الإسلاميَّةِ بالمشارَكةِ في همومِ أفرادِها، ومحاوَلةِ التَّخفيفِ عنهم، فيَنبَغي أن يَستفيدَ الوالِدُ والمُربِّي مِن ذلك في زَرعِ مَعاني الرَّحمةِ والشَّفقةِ

والتَّكافُلِ في نُفوسِ النَّشءِ الصَّغيرِ.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ من رَمَضانَ: اصطحابُهم لصلاةِ التَّراويحِ.

وفي ذلك تعليمُهم الصَّلاةَ وتعويدُهم عليها، وبَثُّ رُوحِ الجماعةِ فيهم، وتعَرُّفُهم على فضيلةِ الاجتماعِ على الخيرِ والتَّعاوُنِ عليه.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن رَمَضانَ: غَرسُ قيمةِ التَّعاوُنِ والإيثارِ بالصَّدَقةِ والجُودِ بالإطعامِ.

فيُشارِكُ الوَلَدُ أباه في شراءِ الطَّعامِ، وتُشارِكُ البنتُ أمَّها في إعدادِه أحيانًا، ثمَّ تقديمِه إلى ذوي الفاقةِ، أو دفعِ المالِ إلى جمعيَّاتٍ خَيريَّةٍ مِن مَصروفِهم الخاصِّ.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن رَمَضانَ: حملُ الأبناءِ والبناتِ على التَّنافُسِ في الخَيراتِ.

وهذا يَشمَلُ أشياءَ كثيرةً تتعَلَّقُ بالصِّيامِ والإطعامِ والقيامِ وقِراءةِ القُرآنِ. فهذا صام يومًا في حينِ أنَّ الآخَرَ قد أفطَرَ ثمَّ تحسَّرَ، وهذا صلَّى التَّراويحَ كامِلةً في المسجِدِ الليلةَ، وتلك قد ختَمَت قَبلَ الآخَرينَ، وهكذا، فيَدِبُّ فيهم الحماسُ للتَّنافُسِ في الخَيرِ.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ مِن رَمَضانَ: تعويدُهم على النِّظامِ والانضِباطِ.

فإنَّ الأطفالَ بطَبيعتِهم مولَعون باللَّعبِ، فإذا حضَر وَقتُ الصَّلاةِ يُؤمَرون بتَركِ اللَّعِبِ وغيرِه؛ لأدائِها، ويتعَلَّمون مِن خلالِ الصِّيامِ أنَّ هناك وقتًا يُسمَحُ فيه بالأكلِ والشُّربِ، ووقتًا للامتناعِ عنه... وهكذا. فيَعتادُ على تَنظيمِ أوقاتِه، وتَنضَبِطُ حَياتُه، ويُراعي كُلَّ عَمَلٍ في وقتِه المُحَدَّدِ له.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ في رَمَضانَ: تنسيقُ برامِجَ مفيدةٍ للأطفالِ.

ومِن ذلك عَقدُ مجالِسَ لدقائِقَ مَعدودةٍ يجري فيها تصحيحُ التِّلاوةِ، أو تَسميعُ بَعضِ السُّوَرِ، أو التَّحَدُّثُ عن معانيها باختصارٍ، مع ربطِ ذلك بالاقتداءِ بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ حيث كان يتدارَسُ القرآنَ مع جبريلَ عليه السَّلامُ في رَمَضانَ.

ومِن ذلك تدارسُ السِّيرةِ النَّبويَّةِ، أو سردُ القِصَصِ النَّافِعةِ، كقِصَّةِ يوسُفَ عليه السَّلامُ، أو إقامةُ مُسابقاتٍ خَفيفةٍ، وفي ذلك صرفٌ لهم عن الانشغالِ بالأجهزةِ الإلكترونيَّةِ.

ومِن جوانِبِ الاستفادةِ من رَمَضانَ: تعزيزُ التَّرابطِ الأسَريِّ في نُفوسِ الأبناءِ.

إنَّ كثيرًا مِن الأبناءِ والبناتِ -أيُّها الأحبَّةُ- يَشتَكون مِن انشغالِ الأهلِ عنهم، وتجِدُ أفرادَ الأسرةِ في مجلِسٍ واحدٍ إلَّا أنَّ كلًّا منهم مُستغرِقٌ في عالَمِه الخاصِّ عَبرَ جوَّالِه أو غَيرِه.

وفي رَمَضانَ مجالٌ للابتعادِ عن تلك الأجهزةِ أو التَّقليلِ منها، مع الحِرصِ على اجتِماعِ الأسْرَةِ على مائِدةِ الطَّعامِ، والاستعدادِ معًا للصَّلاةِ، والاجتِماعِ لعَقدِ مجالِسَ قرآنيَّةٍ، إلى غيرِ ذلك مِن أعمالٍ يمكِنُ أن يشتركَ فيها الجميعُ، فيكونُ في رَمَضانَ فرصةٌ للشُّعورِ بأهمِّيَّةِ العائلةِ، وجمالِ المشارَكةِ بَينَ أفرادِها، وفُرصةٌ لتجديدِ المحبَّةِ وتوثيقِ الرَّوابطِ، وفي جميعِ ذلك وقايةٌ لهم مُستقبَلًا مِن الكثيرِ من الانحرافاتِ بإذنِ اللهِ.

وأخيرًا: لا نَنسى -أيُّها الإخوةُ- دَورَ القُدوةِ العَمَليَّةِ في هذه الجوانِبِ، وهي خيرُ مُعينٍ على البِرِّ والتَّقوى.

فلا يقولُ المُرَبِّي ما لا يفعَلُ، ولا يأمُرُ بالبِرِّ وينسى نفْسَه، بل يكونُ أُسوةً حَسَنةً يتَّخِذُها رعيَّتُه، وكفى بالقُدوةِ مُهَيِّجًا للخَيْراتِ، وهي تُغْني عن كثرةِ التَّوجيهاتِ.

ولا ينبغي أن يتثاقَلَ كُلُّ مُرَبٍّ عن إعمالِ تلك الأفكارِ وغَيرِها، فلن تستغرِقَ الكثيرَ مِن الوقتِ والجُهدِ، ويعودُ ذلك عليه -إن شاء اللهُ- بالبَرَكةِ فيهما.

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

اللهم أَصْلِحْ لِنا فِي ذُرِّيَّاتِنا، ربَّنا هَبْ لنا مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الحادِي عَشَرَ

فاستبِقُوا الخَيراتِ (١)

الحَمدُ للهِ القائِلِ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ البَرِيَّاتِ، وآلِه وأصحابِه أُولي العَزائِمِ والمَكرُماتِ.

أمَّا بَعدُ:

فكثيرًا ما يَقرِنُ اللهُ تعالى في كتابِه بَينَ الإيمانِ وعَمَلِ الصَّالحاتِ، فتَجِدُ في عَشَراتِ الآياتِ: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وفي ذلك دَلالةٌ على أنَّ الإيمانَ وَحدَه لا يَكفي لدُخولِ الجنَّةِ، بل لا بدَّ مِنَ العمَلِ الصَّالِحِ.

والعَمَلُ الصَّالِحُ أفضَلُ ما يدَّخِرُه المؤمِنُ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦] أي: وأعمالُ الخيرِ الصَّالحةُ التي تبقَى لصاحِبِها في الآخرةِ الباقيةِ، ويبقَى نَفعُها وثوابُها: أفضَلُ جزاءً عندَ رَبِّكَ مِن زينةِ الحياةِ الدُّنيا الفانيةِ، وهي أفضَلُ ما يُؤَمِّلُه الإنسانُ، ويرجو نَفعَه وعواقِبَه الحميدةَ.

والعَمَلُ الصالحُ يعني الحياةَ الطَّيِّبَةَ ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ...﴾ [النحل: ٩٧].

والعَمَلُ الصَّالحُ ثَمَنُه الجنَّةُ ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٤٠].

فحَرِيٌّ بالمُسلِمِ أن يبادِرَ إلى الأعمالِ الصَّالِحةِ، خاصَّةً في رَمَضانَ الَّذي تُفتَّحُ فيه أبوابُ الجنَّاتِ.

وكان مِن هَدي نَبيِّنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في هذا الشَّهرِ الاجتهادُ في العباداتِ والأعمالِ الصَّالحاتِ.

ومن ذلك: عنايتُه الخاصَّةُ بالقُرآنِ؛ فالقُرآنُ أُنزِلَ في رَمَضانَ، قال اللهُ تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي الصَّحيحَينِ عن عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أجوَدَ النَّاسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاه جِبريلُ، وكان يلقاه في كُلِّ ليلةٍ من رمَضانَ فيُدارِسُه القُرآنَ، فلَرَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أجوَدُ بالخيرِ من الرِّيحِ المُرسَلةِ)).

وفي هذا الحديثِ أنَّ ليلَ رَمَضانَ أفضَلُ من نهارِه؛ ففي اللَّيلِ سُكونُ النَّفسِ وراحةُ البالِ، فيكونُ أدعى للفَهمِ؛ حيثُ تنسَكِبُ كَلِماتُ اللهِ في قُلوبِنا، فتنفَتِحُ بَصيرتُنا، وتوقِظُنا من غَفلتِنا؛ لنَعقِلَ عن اللهِ معانيَ آياتِه.

وعلى المسلمِ أن يَستحضِرَ عَظَمةَ القرآنِ وعَظَمةَ المتكَلِّمِ به وعَظَمةَ الزَّمانِ الفاضِلِ النَّازِلِ فيه، فيَعظُمُ عِندَه شأنُ القرآنِ، وتَعظُمُ رغبتُه فيه. ولْيستحضِرِ الأجورَ الهائلةَ المترتِّبةَ على تلاوتِه.

ولْيستحضِرْ أنَّ القرآنَ ليس مجرَّدَ كتابٍ يقرؤه مِن أجْلِ البَرَكةِ فَحَسْب، بل يقرؤه ونِيَّتُه العمَلُ به، وغايتُه رِضا ربِّه ودخولُ جَنَّتِه.

ومِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ الميسورةِ على الصَّائِمِ -أيها الإخْوةُ- وهي ذاتُ أجورٍ عَظيمةٍ ومنافِعَ كثيرةٍ: الإكثارُ مِن الذِّكرِ.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١].

ووَعَد الرَّبُّ سُبحانَه بالمغفِرةِ والأجرِ العظيمِ قَومًا مِنْ دأبِهم الانهماكُ في كثرةِ الذِّكرِ، فقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والإنسانُ إذا أكثَرَ مِن ذِكرِ شَيءٍ أحَبَّه، فكثرةُ الذِّكرِ تَغرِسُ في وِجدانِنا مشاعِرَ الحُبِّ والأنسِ باللهِ.

والذِّكرُ يُنيرُ قَلبَ الإنسانِ شَيئًا فشيئًا، ويَقطَعُ عنه كُلَّ ما يُعرقِلُ سَيرَه إلى اللهِ.

الذِّكرُ مُرتَبِطٌ بالطُّمأنينةِ ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والذِّكرُ سِلاحٌ في وَجهِ الصُّعوباتِ للتَّغَلُّبِ عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وفي الصَّحيحَينِ عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَثَلُ الذي يَذكُرُ رَبَّه والذي لا يَذكُرُ رَبَّه، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)).

ومِن الأعمالِ الصَّالحةِ: الجُودُ وبَذلُ الصَّدقاتِ، وتَفطيرُ الصَّائِمين.

فالإطعامُ مُستَحَبٌّ في جميعِ الأوقاتِ، لكِنَّه في شَهرِ رَمَضانَ أشَدُّ استِحبابًا.

وقد تقَدَّم أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان أجوَدَ ما يكونُ في رمَضانَ حينَ يلقاه جبريلُ عليه السَّلامُ كُلَّ ليلةٍ، فيُدارِسُه القُرآنَ، فهو أجوَدُ بالخَيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرسَلةِ.

فكان جُودُه يَبلُغُ الغايةَ في رَمَضانَ؛ بسَبَبِ لِقائِه بجِبريلَ عليه السَّلامُ، ومُدارَسةِ القُرآنِ مَعَه، فكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أكرَمَ وأكثَرَ عَطاءً وفِعلًا لِلخَيرِ، وأعظَمَ نَفعًا لِلخَلقِ مِنَ الرِّيحِ الطَّيِّبةِ الَّتي يُرسِلُها اللهُ بالغَيثِ والرَّحمةِ.

أيُّها الأحبَّةُ:

إنَّ رَمَضانَ شَهرُ تَكافُلٍ وتراحُمٍ وتفَقُّدٍ لاحتياجاتِ النَّاسِ، والمؤمِنُ الَّذي يَعي حقيقةَ رَمَضانَ لن يُديرَ ظَهرَه للفُقَراءِ والمساكينِ.

فما أجمَلَ أن تتفقَّد النَّاسَ فتواسِيَ صائِمًا بوَجبةِ طعامٍ، أو تكفيَ أُسرةً فقيرةً مُؤنةَ احتياجاتِهم الغذائيَّةِ.

إنَّ السَّعادةَ والبَسمةَ الَّتي أسهَمتَ في صُنعِها لهم إنَّما يعودُ نَفعُها إليك، هذا وإن كان مرغَّبًا في فِعله في عُمومِ الأوقاتِ، فكيف بفِعلِه في رَمَضانَ؟

قال بعضُ أهلِ العِلمِ: (إعانةُ الفُقَراءِ بالإطعامِ في شَهرِ رَمَضانَ مِن سُنَنِ الإسلامِ).

وذكَر بعضُهم أنَّ الجودَ في رَمَضانَ مستحَبٌّ؛ لأنَّ النَّاسَ في شُغلٍ بالعبادةِ. فإذا قام الأغنياءُ منهم بأمرِ المحتاجين تفرَّغوا للعبادةِ مِثلَهم.

إنَّ إطعامَ الطَّعامِ شَأنُه عظيمٌ في الإسلامِ، فبالطَّعامِ قِوامُ الأبدانِ، وفي إطعامِه تهذيبُ النُّفوسِ، وتخليصُها مِن الأنانيَّةِ والجَشَعِ، وفيه زيادةُ المودَّةِ بَينَ المُسلِمين.

وقد وصَف اللهُ تعالى عمَلًا مِن أعمالِ الأبرارِ في صورةٍ مُشرِقةٍ تتجَلَّى فيها رُوحُ المحبَّةِ للآخَرين، فقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وصحَّ عن صُهَيبٍ الرُّوميِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((خيارُكم مَن أطعمَ الطَّعامَ)).

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما ((أنَّ رَجُلًا سأل رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيُّ الإسلامِ خَيرٌ؟ قال: تُطعِمُ الطَّعامَ، وتَقرَأُ السَّلامَ على مَن عَرَفتَ ومَن لم تعرِفْ)).

وصَحَّ عن أبي مالِكٍ الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفًا يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها، أعَدَّها اللهُ لمن أطعم الطَّعامَ، وأفشى السَّلامَ، وصَلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نِيامٌ)).

فليكُنْ أمرُ المُسلِمين منك على بالٍ، ولتكُنْ دومًا منارةَ إحسانٍ، رائِدًا في الخيرِ، سَبَّاقًا في أعمالِ البِرِّ، مبادِرًا أينما كُنتَ... ولو بالقَليلِ.

وللحَديثِ بَقيَّةٌ إن شاء اللهُ...

اللهُمَّ إنَّا نَسألُكَ مِن الخَيرِ كُلِّه؛ عاجِلِه وآجِلِه، ما عَلِمنا منه وما لم نَعلَمْ،

ونَعوذُ بكَ مِن الشَّرِّ كُلِّه؛ عاجِلِه وآجِلِه، ما عَلِمنا منه وما لم نَعلَمْ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الثَّاني عَشَرَ
فاستبِقُوا الخَيراتِ (٢)

الحَمدُ للهِ وحدَه، جَعَلَ الدُّنيا مَزرَعةً للآخِرةِ، وحَثَّ على المُسابَقةِ والمُسارَعةِ إلى المَغفِرةِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلِه وأصحابِه البَرَرةِ.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن أبرَزِ مَعالِمِ رَمَضانَ -أيُّها الأحبَّةُ-: صلاةَ التَّراويحِ.

والتَّراويحُ: جمعُ تَرويحةٍ، وهي المَرَّةُ الواحِدةُ مِن الرَّاحةِ؛ فكان النَّاسُ يُطيلونَ القيامَ فيها والرُّكوعَ والسُّجودَ، فإذا صلَّوا أربعًا استراحوا، ثمَّ استأنَفوا الصَّلاةَ أربعًا، ثمَّ استرَاحوا، ثمَّ صَلَّوا ثلاثًا.

والمرادُ بها: قيامُ شَهرِ رَمضانَ.

ومن فضائلِ قيامِ شهرِ رمضانَ: أنَّه سَبَبٌ لغُفرانِ ما تَقدَّمَ مِن الذُّنوبِ.

ففي صحيحِ مُسلِمٍ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُرَغِّبُ في قيامِ رَمَضانَ مِن غَيرِ أن يأمُرَهم فيه بعزيمةٍ، فيقولُ: ((مَن قام رمَضانَ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ له ما تقَدَّمَ مِن ذَنبِه)).

وقولُه: ((إيمانًا واحتِسابًا)) أي: تَصديقًا بفَضلِ هذه اللَّيالي، وفَضلِ العَمَلِ فيها، وابتِغاءً لوَجهِ اللهِ ورَغبةً في الثَّوابِ مِن عِندِ اللهِ تبارَك وتعالى.

ومَن صلَّى القيامَ مع الإمامِ حتى يَنصرِفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ كاملةٍ.

فصَحَّ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ الرَّجُلَ إذا صلَّى مع الإمامِ حَتَّى ينصَرِفَ حُسِبَ له قيامُ ليلةٍ)).

((حتَّى يَنصَرِفَ)) أي: حتَّى ينتهيَ الإمامُ مِن صلاتِه.

ويُستحَبُّ أداءُ صلاةِ التَّراويحِ جماعةً في المسجدِ.

ففي الصَّحيحَينِ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها ((أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صلَّى ذاتَ ليلةٍ في المسجِدِ، فصَلَّى بصلاتِه ناسٌ، ثمَّ صلَّى مِن القابِلةِ، فكَثُرَ النَّاسُ، ثمَّ اجتمَعوا من اللَّيلةِ الثَّالثةِ أو الرَّابعةِ، فلم يَخرُجْ إليهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلمَّا أصبَحَ قال: قد رأيتُ الَّذي صنَعْتُم، ولم يمنَعْني مِن الخُروجِ إليكم إلَّا أنِّي خَشِيتُ أن تُفرَضَ عليكم، وذلك في رمضانَ)). وفي روايةٍ لهما: ((خَشِيتُ أن تُفرَضَ عليكم، فتَعجِزوا عنها)). فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صلَّى صلاةَ التراويحِ بالجماعةِ في المسجدِ، ولم يمنعْه من الاستمرارِ بالجماعةِ إلَّا تخوُّفُه أنْ تُفرَضَ على الأمَّةِ، ومعنى ذلك أنَّ فِعلَها جماعةً في المسجدِ أفضلُ.

وليس لصلاةِ التَّراويحِ حدٌّ مُعَيَّنٌ لا يُزادُ عليه ولا يُنقَصُ منه.

ففي الصَّحيحينِ عن عَبدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((صلاةُ اللَّيلِ مَثْنَى مَثنى، فإذا رأيتَ أنَّ الصُّبحَ يُدرِكُك فأَوتِرْ بواحدةٍ)). فقيل لابنِ عُمَرَ: ما مَثنَى مَثنَى؟ قال: تُسلِّمُ في كُلِّ ركعتينِ.

فالنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لم يعيِّنْ عَدَدَ الرَّكعاتِ الَّتي يأتي بها المُصَلِّي قَبلَ الوِترِ. ولكِنَّ هَدْيَه في قِيامِ اللَّيلِ أنَّه كان يُصلِّي إحدَى عَشْرةَ رَكعةً.

فروى مُسلِمٌ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصَلِّي فيما بَينَ أن يَفرُغَ مِن صلاةِ العِشاءِ -وهي الَّتي يدعو النَّاسُ العتَمةَ- إلى الفَجرِ إحدى عَشْرةَ ركعةً، يُسَلِّمُ بَينَ كُلِّ ركعتينِ، ويُوتِرُ بواحدةٍ، فإذا سَكَت المؤذِّنُ من صلاةِ الفَجرِ، وتَبيَّن له الفَجرُ، وجاءه المؤَذِّنُ، قام فرَكَع ركعتينِ خَفيفَتَينِ، ثمَّ اضطَجَع على شِقِّه الأيمَنِ، حتَّى يأتيَه المؤذِّنُ للإقامةِ)).

ومِن الأعمالِ الصَّالحةِ -أيُّها الإخوةُ-: أداءُ العُمرةِ.

فإنَّ الأفئدةَ تَهفو لزيارةِ بَيتِ اللهِ الحَرامِ برَغبةٍ عارِمةٍ وشَوقٍ عَظيمٍ، وخصوصًا في رمضانَ؛ ففيه يجتَمِعُ شَرَفُ الزَّمانِ والمكانِ، وشَرَفُ العبادةِ.

والعُمرةُ هي: التَّعبُّدُ للهِ تعالى بالطَّوافِ بالبيتِ، والسَّعْيِ بَينَ الصَّفا والمروةِ، والتَّحَلُّلِ منها بالحَلقِ أو التَّقصيرِ.

والمتابَعةُ بَينَ الحَجِّ والعُمرةِ تَنفي الفَقرَ والذُّنوبَ.

فقد صَحَّ عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((تابِعوا بَينَ الحَجِّ والعُمرةِ؛ فإنَّهما ينفيانِ الفَقرَ والذُّنوبَ كما ينفي الكِيرُ خبَثَ الحديدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ)).

والعُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةٌ لِما بينَهما.

فروى الشَّيخانِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((العُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةٌ لِما بينهما)).

أي: مَن اعتَمَر عُمرَتَينِ مُتتابعتَينِ كانَتا سَببًا في تَكفيرِ ما بينَهما مِن صغائرِ الذُّنُوبِ.

والعُمرةُ في رمضانَ تَعدِلُ حَجَّةً مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم.

ففي الصَّحيحينِ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم لامرأةٍ مِن الأنصارِ: ((... إذا جاء رمضانُ فاعتَمِري؛ فإنَّ عُمرةً فيه تعدِلُ حَجَّةً)). وفي روايةٍ لهما: ((فإنَّ عُمرةً في رمضانَ تقضي حَجَّةً -أو حَجَّةً معي-)).

قال بعضُ العُلَماءِ: (إنَّما عَظُم أجرُ العُمرةِ في رمَضانَ لحُرمةِ الشَّهرِ، ولشِدَّةِ النَّصَبِ والمشَقَّةِ اللَّاحِقةِ مِن عَملِ العُمرةِ في الصَّومِ).

والعُمرةُ في رَمَضانَ تَعدِلُ حَجَّةً مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الثَّوابِ، لا أنَّها تقومُ مقامَها في إسقاطِ الفَرضِ؛ فالاعتِمارُ لا يُجزِئُ عن حَجِّ الفريضةِ.

ومِن الأعمالِ الصَّالحةِ المتعَلِّقةِ برمَضانَ: الاعتِكافُ

والمرادُ به: الإقامةُ في المسجِدِ بنيَّةِ التَّقرُّبِ إلى اللهِ عَزَّ وجلَّ، ليلًا كان أو نهارًا.

وأفضَلُ الاعتكافِ زمنًا ما كان في رمضانَ، وآكَدُه ما كان في العَشرِ الأواخِرِ منه.

ففي الصَّحيحينِ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها ((أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يعتكِفُ العشرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ حتَّى توفَّاه اللهُ، ثمَّ اعتكَفَ أزواجُه مِن بَعدِه)).

وكُلُّ إقامةٍ في مسجدٍ للهِ تعالى بنيَّةِ التَّقرُّبِ إليه فهي اعتِكافٌ، سواءٌ قلَّتِ المدَّةُ أو كثُرَت؛ حيثُ لم يخُصَّ الشَّارعُ عَدَدًا.

وأفضَلُ أماكِنِه: المسجِدُ الحرامُ، ثمَّ المسجِدُ النَّبويُّ، ثمَّ المسجِدُ الأقصى، ثمَّ المسجِدُ الجامِعُ الَّذي تُقامُ فيه الجُمُعةُ.

إخواني:

إنَّ الاعتِكافَ خَلوةٌ باللهِ تعالى، ينقَطِعُ المُسلِمُ بها عن مَشاغِلِ الحياةِ ومُلهياتِها، ويتفَرَّغُ لعبادةِ رَبِّه وطاعتِه، والتَّقرُّبِ إليه، ويأنَسُ بذِكرِه ويَلهَجُ بدُعائِه، وهو عُزلةٌ مع النَّفسِ، فيحاسِبُها ويصحِّحُ مسارَها، ويجَدِّدُ عَهدَه مع اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

اللهُمَّ إنَّا نَسألُكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عَمَلٍ،

ونَعوذُ بكَ مِن النَّارِ وما قَرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عَمَلٍ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الثَّالثَ عَشَرَ

أخلاقُ الصَّائِمين (١)

الحَمدُ للهِ العَليمِ الخَلَّاقِ، قَسَّمَ بَينَ عِبادِه الأرزاقَ والأخلاقَ، وجَعَلَ أكملَهم إيمانًا أحسَنَهم خُلُقًا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن كان أخشى الخَلقِ للهِ وأتقى.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الصَّومَ والأخلاقَ قرينانِ، والصِّلةُ بَينَهما وثيقةٌ جِدًّا؛ ففي الصَّومِ تهذيبٌ للأخلاقِ، وفيه تصفيةٌ ممَّا يَعلَقُ بالنَّفسِ مِن خِصالٍ سَيِّئةٍ، وترويضُها على اكتِسابِ خِصالٍ طَيِّبةٍ.

ثبَت عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ الرَّجُلَ ليُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه دَرَجةَ القائمِ باللَّيلِ، الظَّامِئِ بالهواجِرِ)).

وقد اجتَمَع الثَّلاثةُ في رَمَضانَ: الصَّومُ، وقيامُ اللَّيلِ، وحُسنُ الخُلُقِ... فما أعظمَ رَمَضانَ! وما أعظَمَه مِن غنيمةٍ!

وصَحَّ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((رُبَّ صائمٍ ليس له مِن صيامِه إلَّا الجوعُ، ورُبَّ قائمٍ ليس له مِن قيامِه إلَّا السَّهرُ)).

وهذا محمولٌ على مَن صام ولم يُخلِصِ النِّيَّةَ، أو لَم يتجنَّب الكَذِبَ والبُهتانَ والغِيبةَ، ونَحوَها مِن المَناهي؛ فيَحصُلُ له الجوعُ والعطشُ، ولا يَحصُلُ له الثَّوابُ، أو هو الذي يُفطِرُ على الحَرامِ ولا يَحفَظُ جَوارِحَه عن الآثامِ.

فالصَّومُ يَمنَعُ مِنَ الرَّفَثِ.

ففي الصَّحيحينِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((وإذا كان يومُ صَومِ أحَدِكم فلا يَرفُثْ)).

والرَّفَثُ: هو الكَلامُ البذيءُ الفاحِشُ، فالصَّائِمُ يحفظُ صيامَه، ويصونُ لِسانَه، وخصوصًا مع كثرةِ الفُحشِ والتَّفَحُّشِ في عصْرِنا.

فالألفاظُ النَّابيةُ والنِّكاتُ البَذيئةُ غَدَت فاكِهةَ المَجالِسِ، وصارَت شَيئًا مُتَداوَلًا مألوفًا في وسائِلِ التَّواصُلِ الاجتِماعيِّ وبَعضِ البَرامِجِ الإعلاميَّةِ دونَ حياءٍ!

والصَّومُ يمنَعُ مِن التَّشبُّهِ بالجاهِلين والسُّفهاء.

روى الشَّيخانِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((الصِّيامُ جُنَّةٌ، فلا يَرفُثْ ولا يَجهَلْ)).

أي: لا ينبغي أن يفعَلَ شَيئًا مِن أفعالِ أهلِ الجَهلِ، كالصِّياحِ، فتراه مبتَعِدًا عن السَّفَهِ والهَمَجيَّةِ، متأدبًا بآدابِ الإسلامِ، محتَفِظًا بهدوئِه ووَقارِه.

وفي الصَّحيحينِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((وإذا كان يومُ صَومِ أحَدِكم فلا يَرفُثْ ولا يَصخَبْ)).

فنهى عن إحداثِ الضَّجَّةِ والصِّياحِ أثناءَ المجادَلةِ أو الخِصامِ ونَحوِهما.

والصَّومُ يمنَعُ مِن المقاتَلةِ والشِّجارِ والسِّبابِ، ويدعو إلى التَّخَلُّقِ بالحِلمِ وكَظمِ الغَيظِ والعَفوِ والصَّفحِ.

وإنَّ مِن المؤسِفِ -أيُّها الأحبَّةُ- أنَّ الصِّيامَ يرتبطُ عندَ البَعضِ بالشَّراسةِ والعَصَبيَّةِ، وحِدَّةِ الطَّبعِ وتعَكُّرِ المِزاجِ. فلْنعمَلْ على إلغاءِ هذه الصُّورةِ المخالِفةِ لِما ينبغي أن يكونَ عليه الصَّائِمُ.

فقد روى الشَّيخانِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((... فإنْ سابَّه أحدٌ أو قاتَلَه فليَقُلْ: إنِّي امرؤٌ صائمٌ)).

أي: فلْيُعْلِنْ بلسانِه ذلك لِيَكُفَّ خَصمُه عنه، فيكون قولُه هذا متضَمِّنًا لِنَهيِه عن الشَّتمِ، ولتوبيخِه عليه.

قال اللهُ تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أي: اقبَلْ ما تيسَّرَ مِن أخلاقِ النَّاسِ، فإنْ وَجدْتَ منهم خُلُقًا طَيِّبًا فاقبَلْه، وما جاءَك مِن غَيرِ ذلك فاصفَحْ عنه وتجاوَزْه.

ثمَّ أمَرَ اللهُ تعالى نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أن يأمُرَ النَّاسَ بالمَعروفِ -وهو الَّذي يُقِرُّه الشَّرعُ والفِطَرُ السَّليمةُ، وتطمئِنُّ إليه النُّفوسُ المُستقيمةُ-، وأن يُعرِضَ عمَّن جَهِلَ عليه، فإذا سَفِهَ وأساءَ إليه فلا يؤاخِذه بزَلَّتِه فقال: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال سُبحانَه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ

أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

والصَّومُ يَحمِلُ على سلامةِ الصَّدرِ.

صحَّ عن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((صومُ شَهرِ الصَّبرِ وثلاثةِ أيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ، يُذهِبْنَ وَحَرَ الصَّدرِ)).

((يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدرِ)) أي: تُزيلُ ما به مِن الغِشِّ والحِقدِ، أو الغَيظِ، أو النِّفاقِ.

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ العداوةَ والتَّدابُرَ بَينَ المُسلِمين أمرٌ يُبغِضُه اللهُ سُبحانَه، وهو من أسبابِ عَدَمِ مَغفِرةِ اللهِ للإنسانِ، فكما لم يُطَهِّرْ قَلبَه فيكونُ سَليمًا تجاهَ إخوانِه المُسلِمين، قد لا يُطَهِّرُه اللهُ مِن ذنوبِه.

وقد روى مسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((تُفتحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنينِ ويومَ الخميسِ، فيُغفَرُ لكُلِّ عَبدٍ لا يُشرِكُ باللهِ شَيئًا إلَّا رجُلًا كانت بَينَه وبَينَ أخيه شحناءُ، فيُقالُ: أنظِروا هذينِ حتَّى يَصطَلِحا، أنظِروا هذينِ حتَّى يَصطَلِحا، أنظِروا هذينِ حتَّى يَصطَلِحا)).

فالأعمالُ تُعرَضُ على اللهِ تعالى يومَ الاثنينِ والخَميسِ، وكان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يحِبُّ أن يُرفَعَ عَمَلُه وهو صائمٌ، كما صَحَّ عن أسامةَ بنِ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، بخِلافِ مَن يُرفَعُ عَمَلُه وهو في عَداوةٍ مع أخيه المُسلِمِ، وخصوصًا إذا كان مِن أرحامِه.

ومِمَّا يدُلُّ على خُطورةِ المُخاصَمةِ وأنَّها سبَبٌ في الحِرمانِ مِن الخَيرِ ما رواهُ البُخاريُّ عن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليُخبِرَنا بلَيلةِ القَدرِ، فتلاحى رجُلانِ مِن المُسلِمين، فقال: خرَجتُ لأخبِرَكم بلَيلةِ القَدرِ، فتلاحى فُلانٌ وفلانٌ، فَرُفِعَت)).

فخرَجَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليُخبِرَهم بلَيلةِ القَدرِ أيُّ لَيلةٍ هي، فوجَد رجُلينِ يَتخاصَمانِ ويَتَنازَعانِ، فرُفِعَ العلمُ بوقتِها.

وللحديثِ بَقيَّةٌ إن شاء اللهُ...

اللهُمَّ اهدِنا لأحسَنِ الأخلاقِ لا يَهدي لأحسَنِها إلَّا أنتَ،

واصرِفْ عنَّا سَيِّئَها لا يَصرِفُ عَنَّا سَيِّئَها إلَّا أنتَ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: آدابُ الصِّيامِ - موسوعة الآداب الشرعية

للمزيد: موسوعة الأخلاق والسلوك

المجلسُ الرَّابعَ عَشَرَ
أخلاقُ الصَّائِمين (٢)

الحَمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن اتَّبَعَ هُداه.

أمَّا بَعدُ:

فنستكملُ الكلامَ الذي بدأناه في المجلسِ السَّابِق عن أخلاقِ الصائمينَ، فالصَّومُ يهذبُ الأخلاقَ، ويصفِّي النَّفسَ ممَّا يَعلَقُ بها مِن خِصالٍ سَيِّئةٍ، ويروِّضُها على اكتِسَابِ الخِصالِ الطَّيِّبةِ.

فالصَّومُ -أيُّها الإخوةُ- يمنَعُ مِنَ الكَذِبِ.

ففي صحيحِ البخاريِّ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن لم يَدَعْ قَولَ الزُّورِ والعَمَلَ به فليس للهِ حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشَرابَه)).

والمرادُ بقولِ الزُّورِ: الكذبُ، والمرادُ بالعملِ به: العملُ بمُقتضاه.

وهُناكَ الآن بَرامِجُ وحساباتٌ ومقاطعُ إعلاميَّةٌ كثيرةٌ جِدًّا قائِمةٌ أساسًا على التَّفَنُّنِ في تَقديمِ أنواعٍ مِنَ الكَذبِ، كصُنعِ الفُكاهةِ لإضحاكِ المُشاهِدينَ، أو اختِلاقِ الأخبارِ لإثارةِ إعجابِ النَّاسِ، وهناك صُحُفٌ مُتَخَصِّصةٌ في تَلفيقِ الفَضائِحِ وبَثِّ الإشاعاتِ لتَرويجِ سُوقِها، فليكُنِ الصَّائمُ على حَذَرٍ مِن ذلك.

والصومُ يدْعو إلى الصِّدقِ.

وأوَّلُ ما يتعَلَّمُه الصَّائِمُ في شأنِ الصِّدقِ هو صِدقُه مع اللهِ تعالى؛ فالصِّيامُ عَمَلٌ بَينَ العَبدِ وربِّه، وبإمكانِه أن يدَّعيَ الصِّيامَ، ثمَّ يأكُلَ خُفيةً.

والصَّومُ مُعِينٌ على الصِّدقِ في الأعمالِ؛ فالصَّائِمُ يكونُ متقَرِّبًا بصيامِه لمعبودِه، ومُصَدِّقًا بما عندَ اللهِ مِن المثوبةِ، مبتَعِدًا عن التَّلطُّخِ بالذُّنوبِ، مُقبِلًا بكامِلِ قَلبِه على اللهِ، وبذلك يتطابَقُ ظاهِرُه وباطِنُه، فيكونُ صادِقًا.

والصَّومُ يَحمِلُ على العِفَّةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فبيَّن اللهُ سُبحانَه أنَّه كَتَب علينا الصِّيامَ لتحقيقِ التَّقوى بتَركِ الشَّهَواتِ، فيتربَّى الصَّائِمُ بصَومِه على العَفافِ.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((يا مَعشَرَ الشَّبابِ، مَنِ استطاع منكم الباءةَ فلْيتزوَّجْ؛ فإنَّه أغَضُّ للبَصَرِ، وأحصَنُ للفَرجِ، ومَن لم يستَطِعْ فعليه بالصَّومِ)).

يعني: أنَّ مَن لم تكُنْ عِندَه مُؤنةُ الزَّواجِ فلْيَلزَمِ الصَّومَ؛ فمَن اعتادَه سَكَنَتْ شَهوتُه؛ لأنَّ شَهوةَ النِّكاحِ تابعةٌ لشَهوةِ الأكلِ؛ فإنَّه يَقْوى بقُوَّتِها، ويَضعُفُ بضَعْفِها، كما أنَّ الشَّيطانَ يجري مِن ابنِ آدَمَ مجرى الدَّمِ، والصَّومُ يُضَيِّقُ تلك المجاريَ.

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ المُغرَياتِ اليومَ مُنتَشِرةٌ في كُلِّ مكانٍ، والوُقوعُ في فَخِّها سَهلٌ ميسَّرٌ، والصِّيامُ مِن أبرَزِ الوَسائِلِ الَّتي تُعِينُ على مواجهةِ هذه المغْرياتِ وصدِّها، وخُصوصًا في هذا الزَّمَنِ الَّذي صارت الدَّعوةُ فيه إلى الزِّنا والشُّذوذِ ومُقَدِّماتِهما أمرًا مَكشوفًا صَريحًا، وتَتَفَنَّنُ فيه وسائِلُ الإعلامِ وقَنواتُ التَّواصُلِ حتى أصبحَ أمرًا مألوفًا لا يُستنكَرُ وُقوعُه.

والصَّومُ يَشُدُّ العَزمَ ويُرَبِّي على قُوَّةِ الإرادةِ.

فالصومُ يُدَرِّبُ الصَّائِمَ على ضَبطِ النَّفسِ والإمساكِ بزِمامِها حتَّى تنقادَ بإذنِ اللهِ إلى ما فيه سعادتُها، فإنَّ النَّفسَ أمَّارةٌ بالسُّوءِ إلَّا ما رَحِم اللهُ، فإذا أطلَقَ المرءُ لنَفسِه عِنانَها أوقعَته في المهالِكِ، وإذا مَلَك أمرَها تمكَّن مِن قيادتِها وتوجيهِها وتهذيبِها، وهذا لا يتحَقَّقُ إلَّا لمن صام صَومًا شرعيًّا مُستَشعِرًا تقرُّبَه إلى اللهِ تعالى، ومنتَظِرًا الثَّوابَ منه سُبحانَه.

والصَّائِمُ الَّذي أرغَم نفسَه وحَمَلها على اجتنابِ ما هو مباحٌ لها في الأصلِ قادرٌ بإذنِ اللهِ على أن يجتَنِبَ ما حُرِّم عليه من بابِ أَولى في بقيَّةِ العُمُرِ.

والصَّومُ يُعَلِّمُ الصَّبرَ.

وقد سمَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رَمَضانَ شَهرَ الصَّبرِ، فصَحَّ عن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ

عليه وسلَّم قال: ((صومُ شَهرِ الصَّبرِ وثلاثةِ أيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ، يُذهِبْنَ وَحَرَ الصَّدرِ)).

فالصَّومُ يجمَعُ أنواعَ الصَّبرِ الثَّلاثةَ؛ فإنَّ فيه: صبرًا على طاعةِ اللهِ، وصبرًا عن محارِمِ اللهِ كالمُفطِّراتِ، وصَبرًا على أقدارِ اللهِ المُؤلِمةِ، كالحِرمانِ مِن الجُوعِ والعَطَشِ.

وفي امتِناعِ الصَّائمِ عن الرَّدِّ على مَن سابَّه أو قاتَلَه صبرٌ أيضًا، فإنَّه يَحبِسُ نَفسَه، ولا يندَفِعُ للانتِقامِ، ولا يُقابِلُ الإساءةَ بالإساءةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

فيَنالُ الصَّائِمُ بإذنِ اللهِ جزاءَ الصَّابِرينَ، الَّذين يقولُ اللهُ فيهم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والصَّومُ يحمِلُ على الاتِّصافِ بالرَّحمةِ والرَّأفةِ والشَّفقةِ.

فالصَّومُ يملأُ القَلبَ رحمةً ورِقَّةً وعطفًا، والمسلمُ الَّذي يتقلَّبُ في رفاهيةٍ مِنَ العَيشِ ولا يَنقُصُه شَيءٌ مِن المَطعَمِ والمَشرَبِ والمَلبَسِ والمَسكَنِ، حينَ يُقاسي ألَمَ الجُوعِ والعَطَشِ، ومرارةَ الحِرمانِ أثناءَ صومِه، ويَستَشعِرُ معاناةَ غيرِه، يَستثيرُ ذلك في نَفسِه الشَّفقةَ، ويحمِلُه على تذكُّرِ إخوانِه المحتاجِينَ، وتفَقُّدِهم ورعايتِهم، والتَّصَدُّقِ عليهم.

نَسألُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أن يُحسِّنَ أخلاقَنا، ويَرزُقَنا التوفيقَ والسَّدادَ.

وأنْ يَهدِيَنا سُبُلَ السَّلامِ، ويُجَنِّبَنا الفُحشَ والبَذاءَ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: آدابُ الصِّيامِ - موسوعة الآداب الشرعية

للمزيد: موسوعة الأخلاق والسلوك

المجلسُ الخامسَ عَشَرَ

الوِقايةُ من فِتنَةِ الشَّهواتِ (١)

الحَمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فيه، كما يُحِبُّ رَبُّنا ويرضى، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك على عَبدِه ورَسولِه خَيرِ مَن أدَّى حَقَّ رَبِّه وقضى.

أمَّا بعدُ:

أيُّها الأحبَّةُ:

إنَّ من أعظمِ ما ابتُلِيَ به النَّاسُ في هذا العَصرِ الإغراقَ في الشَّهَواتِ والمُلهياتِ، مع سُهولةِ الحُصولِ عليها، وضَعفِ الوازِعِ الإيمانيِّ. وإنَّ ذلك لَجديرٌ بإعدادِ العُدَّةِ وتهيئةِ النُّفوسِ لمواجَهةِ خَطرِه، وصَدِّ تمَدُّدِه، وتحصينِ الشَّبابِ ضِدَّه. فإنَّ شَياطينَ الإنسِ والجِنِّ لا يدَّخِرونَ وُسعًا لتَزيينِ تلك القَبائِحِ في النُّفوسِ، ويَستَميتونَ في التَّفنُّنِ لـجَذبِ النَّاسِ إليها بشَتَّى الوسائِلِ؛ حتَّى يَسهُلَ الوُقوعُ في فخِّها، ويَعتادَ النَّاسُ أمرَها، ويَنسَلِخَ مِن القَلبِ قُبحُها.

ولْتَعْلموا أنَّ لله حُدودًا مِن المحرَّماتِ يَنبَغي على المسلمِ ألَّا يَقرَبَها، وحُدودًا مِن الواجِباتِ يَجِبُ عليه ألَّا يَتَعَدَّاها، فيَحفظُ حُدودَ اللهِ ويَراعي حُرُماتِ اللهِ، ويُعَظِّمُ ما عَظَّمَ اللهُ.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ومقاطِعُ العُري والخَلاعةِ والفُجورِ التي تُنفَثُ سُمومُها في كُلِّ مَكانٍ مِن الأرضِ طَريقٌ سَهلٌ للوُقوعِ في الفواحِشِ، وفي مُشاهَدَتِها تَجاوُزٌ لحُدودِ اللهِ، واستِخفافٌ بمَحارِمِ اللهِ، واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢].

والنَّهيُ عَن القِربانِ يَلزَمُ مِنه أن تَجعَلَ بَينَكَ وبَينَ الفاحِشةِ مَسافةً تَفصِلُكَ عَنها؛ حتَّى لا تَقَعَ فيها، ومَن حامَ حَولَ الحِمى أوشَكَ أن يَقَعَ فيه، ((وإنَّ حِمى اللهِ في أرضِه مَحارِمُه))، كما في الصَّحيحَينِ عَن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهما.

إنَّ الشَّيطانَ يَدعو إلى الفَحشاءِ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وهو حَريصٌ على تزيينِ السَّيِّئاتِ للإنسانِ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل: ٦٣].

وقد نَهى اللهُ تعالى عَن الوُقوعِ في حِبالِ الشَّيطانِ الحَريصِ على مَظاهِرِ العُري والفُجورِ بكُلِّ أنواعِه، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال محذِّرًا: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ۞ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

أخي المسلِمَ:

إنَّ الوُقوفَ دونَ انهزامٍ أمامَ ذُنوبِ الخَلَواتِ، وصَدَّ تلك الهجوماتِ الشَّيطانيَّةِ بكُلِّ ثَباتٍ: هو المَوقِفُ المَطلوبُ مِن المُسلِمِ الصَّادِقِ الجادِّ في نَيلِ رِضا اللهِ والابتعادِ عن غضبِه وسخطِه.

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: مُراقَبةُ اللهِ تعالى والحَياءُ مِنه.

رَوى البُخاريُّ عَن عُقبةَ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ مِمَّا أدرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبوَّةِ: إذا لَم تَستَحْيِ فاصنَعْ ما شِئتَ)).

فالمانعُ مِن فِعلِ القَبائحِ هو الحَياءُ، فمَن لم يكُنْ له حَياءٌ انهمَكَ في كُلِّ فَحشاءَ ومُنكَرٍ.

قال اللهُ تعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: هم حريصونَ على إخفاءِ قبائِحِهم عن النَّاسِ، فيتوارَونَ منهم تجنُّبًا للفضيحةِ؛ إمَّا حياءً، أو خوفًا منهم، أو لئلَّا يُنكِروا عليهم سوءَ أعمالِهم.

﴿وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾: أي: لا يُبالون بنظرِ اللهِ تعالى إليهم، واطِّلاعِه على قبائحِهم التي يبارِزونه بها، وهو الذي لا يخفى عليه شيءٌ مِن أعمالِهم، فهو أحقُّ أن يُخافَ ويُستحيَا منه جلَّ وعلا.

ثم قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ فاللهُ تعالى قد أحاط علمًا بأعمالِهم، وأحصاها عليهم، حتَّى يجازيَهم عليها. وفي هذا وعيدٌ شديدٌ، وكفى به زاجرًا.

فإلى أولئك الذينَ تَلَفَّتوا حولَهم ليَتأكَّدوا مِن خُلُوِّ المَكانِ تمامًا قبلَ أن يَفتَحوا شاشاتِهم: ﴿أَوَ لَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]؟

إلى أولئك الذينَ أمسَكوا بأجهزَتِهم فَرِحينَ، وأطلَقوا فيها أبصارَهم لتَرتَعَ في مُستَنقَعاتِ الرَّذيلةِ، أينَ أنتُم مِن قَولِ اللهِ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]؟

ومِمَّا يُعينُ على الوُقوفِ أمامَ هَذا الغَزوِ الشَّهوانيِّ: تَقوى اللهِ تعالى.

وتَقوى اللهِ هي أقوى ما يتحَصَّنُ به العبدُ، والفُرصةُ سانِحةٌ لنَيلِها مِن خِلالِ صيامِ رَمَضانَ، فقال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فمِن أعظَمِ الأُمُورِ التي يُثبِّتُها شَهرُ رَمَضانَ في حَياةِ الإنسانِ غَرسُ التَّقوى في السِّرِّ والعَلَنِ، ورَقابةُ المُسلِمِ على نَفسِه وجَوارِحِه، والحَذَرُ مِن الذُّنوبِ، لا سيَّما ذُنوبِ الخَلَواتِ؛ فإنَّ المُبارَزةَ للهِ تعالى بها قد تُسقِطُ العَبدَ من عَينِه، وهيَ مِن أعظَمِ أسبابِ الانتِكاساتِ.

فالصَّائِمُ في رَمَضانَ يَخشى على فسادِ صَومِه أو إنقاصِ أجرِه بمُقارَفةِ الشَّهَواتِ، فالصَّومُ يُعَزِّزُ تَقواه، والتَّقوى تَحولُ بَينَ العَبدِ وانتِهاكِ مَحارِمِ اللهِ.

وإذا انقَطَعَ المُسلِمُ في النَّهارِ عَن المُباحاتِ مِن أكلٍ وشُربٍ وغَيرِه، فذلك أدعى لتَرويضِ نَفسِه على الابتِعادِ عَن المُحَرَّماتِ.

ومِمَّا يُعينُ على الابتِعادِ عَن ذُنوبِ الخَلَواتِ ومُشاهَدةِ المُحرَّمات: الخَوفُ مِن سوءِ الخاتِمَةِ.

ففي الصَّحيحَينِ عَن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ الجَنَّةِ فيما يَبدو للنَّاسِ وهو مِن أهلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ النَّارِ فيما يَبدو للنَّاسِ وهو مِن أهلِ الجَنَّةِ)).

قال بَعضُ العُلَماءِ: («فيما يَبدو للنَّاسِ» إشارةٌ إلى أنَّ باطِنَ الأمرِ يَكونُ بخِلافِ ذلك، وأنَّ خاتِمَةَ السُّوءِ تَكونُ بسَبَبِ دَسيسةٍ باطِنةٍ للعَبدِ لا يَطَّلِعُ عليها النَّاسُ، إمَّا مِن جِهةِ عَمَلٍ سَيِّئٍ ونَحوِ ذلك، فتلك الخَصلةُ الخَفيَّةُ توجِبُ سوءَ الخاتِمةِ عِندَ المَوتِ).

وللحدِيثِ بقيةٌ إن شاء اللهُ...

نسألُ اللهَ العظيمَ رَبَّ العَرشِ العظيمِ أن يُجَنِّبنا ويُجَنِّبَ شبابَنا وفَتياتِنا الشَّهَواتِ والمُلهياتِ والمحَرَّماتِ، وأن يُثَبِّتَ قُلوبَنا على طاعتِه، وأن يُجَنِّبنا الفِتَنَ ما ظهَر منها وما بَطَن، وأن يجعَلَنا من عبادِه الصَّالحينَ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ السَّادسَ عَشَرَ

الوِقايةُ من فِتنَةِ الشَّهواتِ (٢)

الحَمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ اللهِ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن والاه.

أمَّا بَعدُ:

فاستِكمالًا للمجلسِ السَّابقِ عَن الوسائِلِ المُعينةِ على مواجَهةِ الشهواتِ والملهياتِ المحرَّمةِ، وتَركِ ذُنوبِ الخَلَواتِ.

فمِمَّا يُعينُ على ذلك: تَذَكُّرُ نَعيمِ الجَنَّةِ.

فبَعدَ أن قال اللهُ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ....﴾ [آل عمران: ١٥].

والجَزاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ، فكَما تَجَنَّبَ المسلمُ فِتنةَ الشَّهواتِ مِن النِّساءِ كانت النَّتيجةُ جَزاءَه في الجَنَّةِ بأزواجٍ مُطَهَّراتٍ مِن كُلِّ عَيبٍ ظاهرٍ وباطِنٍ مِمَّا يَعتَري نِساءَ الدُّنيا.

ورَوى البُخاريُّ عَن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لَو أنَّ امرَأةً مِن أهلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَت إلى أهلِ الأرضِ لَأضاءَت ما بَينَهما، ولَمَلَأته ريحًا، ولَنَصيفُها -يعني خِمارَ رَأسِها- على رأسِها خَيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها)).

فهذا إخبارٌ عن أنوارِ جمالِها، وعن طِيبِ رِيحِها، وعن ظاهِرِ مَلبوسِها، فكيفَ بجَمالِها وباطِنِ مَلبوسِها الذي هو نعيمٌ مِن نِعَمِ الجنَّةِ؟

وتَذَكَّر -أخي المسلِمَ- أنَّكَ قد تُحرَمُ مِن ذلك النَّعيمِ المُقيمِ؛ فإنَّ الإصرارَ على الذُّنوبِ الصَّغيرةِ يحَوِّلُها إلى كَبيرةٍ، والإصرارُ على الكَبائِرِ قد يَحمِلُ على استِحلالِها؛ مِمَّا قد يُؤَدِّي إلى الكُفرِ باللهِ تعالى، والانسِلاخِ مِن الدِّينِ.

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: خَشيةُ اللهِ والخوفُ مِن عَذابِه.

يقولُ اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وثَبَتَ عَن ثَوبانَ رَضِيَ اللهُ عنه، عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: ((لَأعلَمَنَّ أقوامًا مِن أُمَّتي يَأتونَ يومَ القيامةِ بحَسَناتٍ أمثالِ جِبالِ تِهامةَ بيضًا، فيَجعَلُها اللهُ عَزَّ وجَلَّ هَباءً مَنثورًا. قال ثَوبانُ: يا رَسولَ اللهِ، صِفْهم لَنا، جَلِّهم لَنا، ألَّا نَكونَ مِنهم ونَحنُ لا نَعلَمُ، قال: أمَا إنَّهم إخوانُكُم ومِن جِلدَتِكُم، ويَأخُذونَ مِنَ اللَّيلِ كَما تَأخُذونَ، ولَكِنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوا بمَحارِمِ اللهِ انتَهَكوها)).

لذا فإنَّ بَعضَ العُلَماءِ استَدَلَّ بهَذا الحَديثِ على أنَّ مِن الكَبائِرِ: (إظهارَ زيِّ الصَّالِحينَ في المَلَإِ، وانتِهاكَ المَحارِمِ -ولَو صَغائِرَ- في الخَلوةِ).

فلْيَخشَ الذينَ تُسَوِّلُ لَهم أنفُسُهم الوُقوعَ في ذلك أن تَشهَدَ جُلودُهم وجَوارِحُهُم عليهم يَومَ القيامةِ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٣].

وفي الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ يومَ القيامةِ في ظِلِّه يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه))، وذَكَرَ مِنهم: ((ورَجُلٌ دَعَته امرَأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ إلى نَفسِها، قال: إنِّي أخافُ الله)).

ومِمَّا يُعينُ على الابتِعادِ عَن ذُنوبِ الخَلَواتِ: الإخلاصُ للهِ تعالى.

ففي قِصَّةِ يوسُفَ عليه السَّلامُ تَجَمَّعَت كُلُّ الوسائِلِ الدَّاعيةِ للوُقوعِ في الفاحِشةِ، إلَّا أنَّه امتَنَعَ عَنها، وكان ذلك صَرفًا مِنَ اللهِ تعالى لَه؛ لإخلاصِه، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٣-٢٤]. وفي قراءةٍ ﴿ٱلۡمُخۡلِصِينَ﴾.

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: صُحبةُ الصَّالِحِينَ والابتِعادُ عَن مُصاحَبةِ أهلِ الفُجورِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أي: لا تُطِعْ مَن جعَلْنا قلبَه غافلًا عن ذِكرِنا وعبادتِنا وعن القرآنِ، وانشغَل عن ذلك بالدُّنيا.

كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النجم: ٢٩].

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: الدُّعاءُ.

فادعُ اللهَ تعالى بإلحاحٍ أن تكونَ مِمَّن حَبَّبَ إليهم الإيمانَ وزَيَّنَه في قُلوبِهم، وكَرَّهَ إلَيهم الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ.

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: الصَّلاةُ.

فإذا أُدِّيَت صَحيحةً بطُهورِها وخُشوعِها وفي مَواقيتِها نَهَت عَن الفَحشاءِ والمُنكَرِ، كَما قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: تِلاوةُ القُرآنِ بتَدبُّرٍ.

فالقُرآنُ شِفاءٌ مِن أمراضِ القُلوبِ كالشَّهَواتِ المُحَرَّمةِ، كَما قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ومِمَّا يُعينُ على ذلك: كَثرةُ ذِكرِ اللهِ تعالى.

فهو حِصنٌ حَصينٌ بإذنِ اللهِ.

صَحَّ عَن الحارِثِ الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ اللهَ أوحى إلى يَحيى بنِ زَكَريَّا بخَمسِ كَلِماتٍ أن يَعمَلَ بهنَّ ويَأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بهنَّ))، وذَكَرَ مِنها: ((وأمَرَكُم بذِكرِ اللهِ كَثيرًا، ومَثَلُ ذلك كمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَه العَدوُّ سِراعًا في أثَرِه حتَّى أتى حِصنًا حَصينًا فأحرَزَ نَفسَه فيه، وكذلك العَبدُ لا يَنجو مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكرِ اللهِ)).

ولْيَحذَرِ المُسلِمُ من الوقوعِ في المحَرَّماتِ مُتَّكِلًا على رَحمةِ اللهِ وسَعةِ عَفوِه، ومُسَوِّفًا التَّوبةَ، فهذا أمرٌ خَطيرٌ يُجَرِّئُ الإنسانَ على المَعصيةِ، حتَّى يَفجَأَه المَوتُ وهو على ذلك.

واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦-٩٩].

نسألُ اللهَ أن يُجَنِّبنا مُنكَراتِ الأخلاقِ والأهواءِ، والأعمالِ والأدواءِ، اللهُمَّ إنَّا نسألُك فِعلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المنكَراتِ،

وحُبَّ المساكينِ، وأن تغفِرَ لنا وترحمَنا، وإذا أردتَ فِتنةً في قومٍ فتوَفَّنا غيرَ مفتونينَ،

ونسألُك حُبَّك، وحُبَّ من يحبُّك، وحبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلى حُبِّك.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ السَّابعَ عَشَرَ

انتِصاراتٌ وفُتوحاتٌ رَمَضانيَّةٌ (١)

الحَمدُ للهِ الذي تَكَفَّلَ بالنَّصرِ لَمن يَنصُرُه، وجَعَلَ النَّصرَ مِن عِندِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتَمِ أنبيائِه وعَبدِه.

أمَّا بَعدُ:

فقد ترَكَ المُسلِمون بَصَماتٍ خالدةً، وكانت لهم صَوْلاتٌ وجَوْلاتٌ تُثيرُ الهِمَمَ، وتُحيي في النُّفوسِ الأمَلَ.

ورَمَضانُ هو شَهرُ الفُتوحاتِ والانتِصاراتِ؛ فقد وقَعَت فيه أعظَمُ انتِصاراتِ المُسلِمينَ وأكثَرُها بَرَكةً على الإسلامِ وأهلِه، ومنها: غزوةُ بدرٍ الكُبرى، وفتحُ مكَّةَ، وعَينُ جالوتَ، وغيرُها.

وأوَّلُ نَصرٍ إسلاميٍّ عظيمٍ كان في غَزوةِ بَدرٍ:

وذلك في اليَومِ السَّابعَ عَشَرَ مِن رَمَضانَ في العامِ الثَّاني للهِجرةِ النَّبويَّةِ.

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد ندَبَ نَفَرًا مِنَ المُسلِمينَ لاعتراضِ قافلةِ قُرَيشٍ القادِمةِ مِنَ الشَّامِ، وعلى رأسِها أبو سُفيانَ، وقد عَلِمَ بخروجِ المُسلِمينَ إليه، فأرسَلَ إلى قُرَيشٍ يَستنفِرُها لاستنقاذِ تجارَتِها، وغيَّرَ مسارَهُ، ثمَّ التقى المُسلِمونَ ومُشرِكو قُرَيشٍ عندَ ماءِ بدرٍ، بَينَ مكَّةَ والمدينةِ. كما قال اللهُ تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

أي: كُنتم نازلينَ بضَفَّةِ وادي بَدرٍ، الَّتي هي أقرَبُ إلى المدينةِ، ومُشرِكو قُرَيشٍ نازِلونَ بِضَفَّةِ وادي بَدرٍ، الَّتي هي أبعَدُ مِن المدينةِ، وأصحابُ الإبِلِ الَّذين معهم تجارةُ المُشركينَ في موضعٍ أسفَلَ منكم ممَّا يلي ساحِلَ البَحرِ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ [الأنفال: ٤٢]، أي: لو اتَّفَقتُم مع المُشركينَ على القِتالِ في مكانٍ وزمانٍ مُحَدَّدَينِ لَمَا اجتمَعْتُم.

﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، فجَمَعَكم اللهُ ببَدرٍ على غيرِ ميعادٍ بيْنَكم؛ لِينصُرَ اللهُ المؤمنينَ، ويُهلِكَ الكافرينَ، وذلك أمرٌ لا بدَّ مِن وُقوعِه.

فالتقى الجَمعانِ في اليومِ الَّذي سمَّاه اللهُ تعالى يومَ الفُرقانِ، وعَدَدُ المُسلِمين قليلٌ، كما قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ

وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، أي: والحالُ أنَّكم يومَئذٍ ضعفاءُ، فقليلٌ عَددُكم وعُدَدُكم، وكُنتُم في غيرِ مَنَعةٍ من النَّاسِ.

ووصَف اللهُ تعالى المُشرِكين في خُروجِهم إلى بَدرٍ بأنَّهم ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

فخرَجُوا مِن مَنازِلهم ردًّا للحَقِّ، غيرَ شاكرينَ لنِعَمِ اللهِ تعالى، ولِيَفتَخِروا ويتباهَوا بجَمعِهم، ولِيَمنَعوا النَّاسَ مِن اتِّباعِ الحقِّ.

وخرج معهم إبليسُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

أي قال لهم إبليسُ: لا يُطيقُ أحدٌ مِن النَّاسِ اليومَ أن يتغلَّبَ عليكم؛ لِكَثرتِكم وقوَّتِكم. وإنِّي مُجيرٌ لكم، وحافظٌ لكم.

عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: (جاء إبليسُ يومَ بَدرٍ في جُندٍ مِن الشَّياطينِ، معه رايتُه، والشَّيطانُ في صورةِ رَجُلٍ مِن بني مُدلِجٍ، في صورةِ سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ).

وقال اللهُ تعالى مبيِّنًا تدبيرَه للمؤمنينَ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤].

أي: اذكُرْ حينَ أراك اللهُ في نَومِك جيشَ الكُفَّارِ في بَدرٍ قليلًا، فأعلَمْتَ أصحابَك بما رأيتَ، فَقَوِيتْ قُلوبُهم على قتالِهم.

ثمَّ أراهم اللهُ في الواقعِ جيشَ الكُفَّارِ قليلًا؛ ليتشَجَّعوا على قِتالِهم، وقلَّلَهم في أعيُنِ الكُفَّارِ لِيَستَهينوا بقتالِهم؛ لِيقضيَ اللهُ أمرًا مُقدَّرًا؛ مِن قتالِ بعضِهم بعضًا، وانتصارِ المسلمينَ، وإهلاكِ الكافرينَ.

وكان مِن رحمةِ اللهِ تعالى أن ألقى على المؤمِنين النُّعاسَ يومَئذٍ، وأنزل عليهم المطَرَ، فقال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فألقى اللهُ تعالى عليهم النُّعاسَ؛ ليكونُوا آمِنينَ، ليس في قلوبِهم خوفٌ مِن عَدُوِّهم، ونزَّل عليهم مَطرًا؛ ليُطهِّرَهم به مِن الأحداثِ

والجَناباتِ، وليُذهِبَ عنهم وساوِسَ الشَّيطانِ، ولِيُقَوِّيَ قلوبَهم، وتمتلئَ باليقينِ والنَّصرِ، وتقوَى على الصَّبرِ والإقدامِ، وليُلبِّدَ لهم الأرضَ؛ فتَثبُتَ عليها أرجُلُهم، ولا تغوصَ فيها.

وأخذ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يناشِدُ رَبَّه ويدعوه، كما في صَحيحِ مُسلِمٍ عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا كانَ يومُ بدرٍ نظرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى المُشرِكينَ وهم ألْفٌ، وأصحابُه ثلاثُ مائةٍ وتسعةَ عشَرَ رجُلًا، فاستقبلَ نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القِبلةَ، ثمَّ مدَّ يَدَيه، فجعلَ يَهتِفُ بربِّه: اللَّهمَّ أنجِزْ لي ما وعدتَني، اللَّهمَّ آتِ ما وعدتَني، اللَّهمَّ إنْ تُهلِكْ هذه العِصابةَ مِن أهلِ الإسلامِ لا تُعبَدْ في الأرضِ، فما زالَ يهتِفُ بربِّه مادًّا يَدَيهِ مستقبلَ القِبلةِ، حتَّى سقطَ رداؤُهُ عنْ مَنكِبَيهِ، فأتاه أبو بكرٍ فأخذَ رداءَه، فألقاه على مَنكِبَيه، ثمَّ التزَمَه مِن ورائِه، وقال: يا نبيَّ اللهِ، كفاكَ مُناشَدتُك ربَّك؛ فإنهُ سيُنجِزُ لكَ ما وعَدَك، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]))، أي: فأجاب اللهُ تعالى دعاءَكم، بأنَّني مُقوِّيكم بألْفٍ مِن الملائِكةِ، يأتونَ إليكم مُتتابِعينَ للقِتالِ معكم، بعضُهم في إثرِ بَعضٍ.

وقد نَزَل جِبريلُ عليه السَّلامُ، كما في حديثِ عَبدِ اللهِ بنِ ثَعلبةَ رَضِيَ اللهُ عنه ((أنَّ أبا جَهْلٍ حينَ التقى القومُ قال: اللَّهمَّ أقطَعُنا للرَّحِمِ، وآتانا بما لم نَعرِفْ، فأَحِنْهُ [أي: أهلِكْه] الغَداةَ، فكان هو المُستفتِحَ، فبَيْنَما هم على تلك الحالِ، وقد شجَّع اللهُ المسلِمينَ على لقاءِ عدوِّهم، وقلَّلهم في أعيُنِهم حتَّى طَمِعوا فيهم، خفَق رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خَفْقةً في العريشِ، ثمَّ انتبَه، فقال: أبشِرْ يا أبا بكرٍ، هذا جِبريلُ مُعتجِرٌ بعِمامتِه، آخِذٌ بعِنانِ فرَسِه يقُودُه، على ثناياه النَّقعُ، أتاك نَصرُ اللهِ وعِدَتُه)).

وأنزل اللهُ تعالى الملائِكةَ، فقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وفي صحيحِ مُسلِمٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((بَيْنَما رجُلٌ مِن المُسلِمينَ يومَئذٍ يشتدُّ في أثرِ رجُلٍ مِن المُشرِكين أمامَه، إذ سَمِع ضربةً بالسَّوطِ فوقَه، وصوتُ الفارسِ يقول: أقْدِم حَيزومُ، فنظَر إلى المُشركِ أمامَه فخرَّ مُستلقيًا، فنظَرَ إليه فإذا هو قد خُطِم أنفُه [أي: ظهَر على أنفِه أثرُ ضربةٍ]، وشُقَّ وجهُه كضربةِ السَّوطِ، فاخضرَّ ذلك أجمعُ! [أي: صار موضعُ الضَّربةِ كلُّه أسودَ] فجاء الأنصاريُّ فحدَّث بذلك رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: صدقْتَ، ذلك مِن مدَدِ السَّماءِ الثَّالثةِ)).

وهرَب عدُوُّ اللهِ -إبليسُ- لَمَّا رأى ذلك. قال اللهُ سُبحانَه: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((لَمَّا اصطفَّ النَّاسُ أخَذ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قبضةً مِن التُّرابِ، فرمى بها في وُجوهِ المُشركينَ، فوَلَّوا مُدبرينَ، وأقبل جبريلُ إلى إبليسَ، فلمَّا رآه وكانت يدُه في يدِ رجُلٍ مِن المُشركِينَ، انتزعَ إبليسُ يَدَه، فولَّى مُدبِرًا هو وشيعَتُه، فقال الرَّجلُ: يا سُراقةُ، تزعُمُ أنَّك لنا جارٌ؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الإنفال: ٤٨] وذلك حينَ رأى الملائِكةَ)).

وانتَهَت المعركةُ بانتصارٍ ساحقٍ للمُسلِمينَ على المُشرِكين الَّذين قُتِل منهم سبعون، وأُسِر سبعون.

وفي الصَّحيحين عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لعَلَّ اللهَ اطَّلَع على أهلِ بَدرٍ، فقال: اعمَلوا ما شِئتُم، فقد غفرتُ لكم)).

وروى البخاريُّ عن رفاعةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((جاء جبريلُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: ما تعُدُّون أهلَ بدرٍ فيكم؟ قال: مِن أفضلِ المُسلِمينَ، أو كَلِمةً نحوَها، قال: وكذلك مَن شَهِد بدرًا مِن الملائِكةِ)).

اللَّهمَّ انصُرْ دينَك وكِتابَك وسنَّةَ نبيِّكَ وعِبادَك الصَّالحينَ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الثَّامنَ عَشَرَ

انتصاراتٌ وفُتوحاتٌ رَمَضانيَّةٌ (٢)

الحَمدُ للهِ القائِلِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ العِبادِ، صَلاةً وسَلامًا دائِمَينِ مُتَلازِمَينِ إلى يَومِ التَّنادِ.

أمَّا بَعدُ:

فمِن الانتِصاراتِ والفُتوحاتِ الشَّهيرةِ في رَمَضانَ: فَتحُ مكَّةَ.

وكان فَتحًا عَظيمًا أعزَّ اللهُ به الإسلامَ والمُسلِمينَ، وكان في رَمضانَ مِن العامِ الثَّامِنِ للهِجرةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

أي: إذا نصَرَك اللهُ -يا محمَّدُ- على أعدائِك، وتحقَّق لك فَتحُ مكَّةَ، ورأَيتَ العربَ يَدخُلونَ في الإسلامِ جماعاتٍ كثيرةً، فَوجًا بعدَ فَوجٍ، فنَزِّهْ -يا محمَّدُ- رَبَّك عن النَّقائِصِ والعُيوبِ تنزيهًا مُقترِنًا بحَمْدِه، واطلُبْ منه محوَ ذُنوبِك.

وفي صحيحِ مسلمٍ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالتَ: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُكثِرُ مِن قَولِ: سبحانَ اللهِ وبحَمدِه، أستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أراكَ تُكثِرُ مِن قَولِ: سبحانَ اللهِ وبحَمدِه، أستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ! فقالَ: خَبَّرَني رَبِّي أنِّي سأرى علامةً في أمَّتي، فإذا رأيتُها أكثَرتُ مِن قَولِ: سبحانَ اللهِ وبحَمدِه، أستَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ، فقد رأيتُها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] فتحُ مكَّةَ، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٢-٣])).

وكان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد خرَج مِن المَدينةِ قاصِدًا فَتحَ مكَّةَ في رَمَضانَ، وكان صائِمًا هو ومَن معَه حتَّى بلَغَ مَوضِعًا بينَ مَكَّةَ والمدينةِ، فدَعا بالماءِ بعدَ العَصرِ وشَرِبَ؛ لِيُتابِعَه النَّاسُ في الإفطارِ ويَقتَدوا به بعد أن شَقَّ عليهم الصِّيامُ.

وقد بلَغَ قُرَيشًا مَسيرُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى مكَّةَ، فخرَجَ أبو سُفيانَ بنُ حَربٍ وغيرُه مِن زُعَماءِ قُرَيشٍ وسادَتِها، فساروا

حتَّى أتَوا مَرَّ الظَّهرانِ، وهوَ وادٍ كَبيرٌ يقَعُ في مِنطَقةِ مكَّةَ المُكرَّمةِ، وكان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَمَّا نزَلَ مَرَّ الظَّهرانِ قد أمَرَ أصحابَه أن يُوقِدَ كلُّ واحدٍ منهم نارًا، وكان عدَدُهم عَشَرةَ آلافٍ، فلَمَّا رَأى ذلك أبو سُفيانَ ومَن مَعَه فَزِعوا ووقَعَ في قُلوبِهم الخَوفُ.

ورَآهم ناسٌ مِن حَرسِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأخَذوهم إليه، فأسلَمَ أبو سُفيانَ، فلَمَّا سارَ جيشُ المُسلِمينَ متَّجِهينَ إلى مكَّةَ أرادَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يُدخِلَ الرَّهبةَ في قَلبِ أبي سُفيانَ برُؤيةِ قُوَّةِ المُسلِمينَ، فقال لعمِّه العبَّاسِ: احبِسْ أبا سُفيانَ عندَ حَطْمِ الخَيلِ، أي: عندَ مَضيقٍ تَزدَحِمُ فيه الخَيلُ؛ حتَّى يَنظُرَ إلى المُسلِمينَ، ففعَلَ العبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عنه ذلك، وجعَلَتِ القَبائلُ الَّتي خرَجَت معَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تمُرُّ كَتيبةً بَعدَ كَتيبةٍ على أبي سُفيانَ، فيَراهُم مُنظَّمينَ مُتآلِفينَ، حتَّى مرَّت كَتيبةٌ لم يَرَ أبو سُفيانَ مِثلَها، فقال: يا عبَّاسُ، مَن هذه القَبيلةُ؟ فقال: هؤلاء همُ الأنصارُ، وعليهم سيِّدُهم سَعدُ بنُ عُبادةَ رَضِيَ اللهُ عنه، ومعَه الرَّايةُ، فلَمَّا رَآه سَعدُ بنُ عُبادةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: «يا أبا سُفيانَ، اليومُ يومُ المَلْحَمةِ»، أي: يومُ المَقتَلةِ العُظمى «اليومَ تُستحَلُّ الكَعبةُ»، أي: يَحِلُّ لنا القِتالُ عندَ الكَعبةِ؛ انتِقامًا لِمَا صَنَعَه الكُفَّارُ بالمُسلِمينَ، فلَمَّا سَمِعَ أبو سُفيانَ ذلك ثارَت فيهِ الحَمِيَّةُ، فقال: «يا عبَّاسُ، حبَّذا يومُ الذِّمارِ!»، أي: يومُ الهَلاكِ، والمَعنى: ليتَ لي قُوَّةً فأحمِيَ قَومي وأمنَعَهم، وقيلَ: المرادُ أنَّ هذا يومٌ يَلزَمُكَ فيه حِفظي وحِمايَتي مِن أن يَنالَني مَكروهٌ. ثمَّ جاءَت بعدَ ذلك كَتيبةٌ هي أقلُّ الكَتائبِ عدَدًا، وكان فيها رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصحابُه منَ المُهاجِرينَ، وكان قد أعطى رايتَه للزُّبَيرِ بنِ العوَّامِ رَضِيَ اللهُ عنه، فلَمَّا مرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأبي سُفيانَ، ذكَرَ له أنَّ سَعدَ بنَ عُبادةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: «اليومُ يَومُ المَلحَمةِ، اليومَ تُستَحَلُّ الكَعبةُ»، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «كذَبَ سَعدٌ»، أي: أخطأَ فيما قال، «ولكِنَّ هذا يومٌ يُعظِّمُ اللهُ فيهِ الكَعبةَ»، أي: بإظهارِ الإسلامِ حَولَها، وأذانِ بِلالٍ على ظَهرِها، وإزالةِ ما كان فيها مِن الأصنامِ، ومَحوِ الصُّوَرِ الَّتي كانت فيها، وغيرِ ذلك. «ويومٌ تُكسى فيه الكَعبةُ»، قيلَ: لأنَّهم كانوا يَكسونَها في مِثلِ ذلك اليومِ؛ فالنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لم يَأتِ لاستحلالِها، أو الانتِقامِ مِن أهلِها، وإنَّما غَرضُه نُصرةُ دِينِ اللهِ، وعِزَّةُ أهلِها بالإسلامِ.

وأَخَذَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومَن معه طَريقَ الحَجُونِ ليَدخُلوا مكَّةَ مِن أعلاها، قيلَ: الحِكمةُ من ذلك: تَعظيمُ مكَّةَ، وقيلَ: لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خرَجَ منها مُختَفيًا في الهِجرةِ، فأرادَ أن يَدخُلَها جاهرًا عالِيًا، وقيلَ: لأنَّ مَن جاء مِن تلك الجِهةِ كان مُستَقبِلًا للبَيتِ.

وقد قاوَمَ خالدَ بنَ الوَليدِ رَضِيَ اللهُ عنه بعضُ المُشرِكينَ، فهزَمَهم.

وفي الصَّحيحينِ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أقبلَ يومَ الفَتحِ مِن أعلى مكَّةَ على راحِلَتِه مُردِفًا أسامةَ بنَ زيدٍ، ومعهُ بلالٌ، ومعهُ عثمانُ بنُ طَلحةَ مِن الحَجَبةِ، حتَّى أناخَ في المسجدِ، فأمرَه أن يأتيَ بمِفتاحِ البَيتِ ففَتَحَ، ودخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومعهُ أسامةُ وبلالٌ وعثمانُ، فمكثَ فيها نهارًا طويلًا، ثمَّ خرجَ، فاستبَقَ النَّاسُ، وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ أوَّلَ مَن دخَلَ، فوجدَ بلالًا وراءَ البابِ قائمًا، فسألَه أينَ صلَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟ فأشارَ لهُ إلى المكانِ الذي صلَّى فيهِ، قال عبدُ اللهِ: فنَسِيتُ أن أسألَه كم صلَّى مِن سَجدةٍ)).

وفي الصَّحيحينِ عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((دخلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مكَّةَ يومَ الفَتحِ، وحولَ البيتِ ستُّونَ وثلاثُ مائةِ نُصُبٍ، فجَعَلَ يطعُنُها بعودٍ في يدِهِ، ويقولُ: جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ، جاءَ الحقُّ وما يُبدئُ الباطِلُ وما يُعيدُ)).

هذا وَصفُ حالِ الباطِلِ -أيُّها الإخوةُ-، فعندَ مَجيءِ الحَقِّ يَضمَحِلُّ الباطِلُ ويتلاشَى؛ ولهذا لا يَرُوجُ إلَّا في الأزمانِ والأمكِنةِ الخاليةِ مِن العِلمِ بآياتِ اللهِ وبَيِّناتِه.

فإذا قامَ أهلُ هذا الدِّينِ بالحَقِّ وأعلَوا رايَتَه، نُصِروا بإذنِ اللهِ.

وفي فَتحِ مكَّةَ وغيرِهِ أملٌ يحدونا إلى ترقُّبِ وَعدِ اللهِ بالنَّصرِ إن نَصَرْنا اللهَ سُبحانَه، مهما كان الواقعُ الَّذي نعيشُ فيهِ اليومَ مؤلِمًا.

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ التَّاسعَ عَشَر

في رحابِ آياتِ الصِّيامِ

الحَمدُ للهِ الذي أنزَلَ القُرآنَ في رَمَضانَ، هُدًى للنَّاسِ وبَيِّناتٍ مِن الهُدى والفُرقانِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ المَبعوثِ رَحمةً للعالَمينَ، وحُجَّةً على الخلْقِ أجمَعينَ.

أمَّا بَعدُ:

فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ * أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [**البقرة: ١٨٣ – ١٨٧**].

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

فأوَّلُ ما بدأ اللهُ تعالى به: توجيهُ النِّداءِ إلى المؤمِنين؛ إشارةً إلى أنَّ امتثالَ ما بَعدَه مِن مُقتَضَياتِ الإيمانِ، وأنَّ على المؤمنِ أن يعتنيَ به، فهو إمَّا خيرٌ يؤمَرُ به، أو شرٌّ يُنهى عنه.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ **أي: فَرَض اللهُ عليكم الصِّيامَ، وأوجبَه عليكم.**

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ **أي: كما فرَضَه وأوجَبَه على أتْباعِ الشَّرائعِ السَّماويَّةِ، وفي هذا تَسليةٌ للمُؤمِنين ليَهونَ**

عليهم أداءُ الصِّيامِ؛ فإنَّ في الاقتداءِ بالغَيرِ عَونًا على تحمُّلِ المصاعِبِ، وإثارةً للعزائِمِ، وإذكاءَ رُوحِ التَّنافُسِ.

ثمَّ بَيَّنَ اللهُ تعالى الغايةَ السَّاميةَ من الصِّيامِ، وهي تحقيقُ التَّقوى، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: مِن أجْلِ الوُصولِ بصِيامِكم إلى مَرتبةِ التَّقوى.

ثمَّ ذكَرَ اللهُ تعالى أنَّ الصِّيامَ مفروضٌ في أيَّامٍ قليلةٍ، وهي أيَّامُ رَمضانَ، فقال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، والتَّعبيرُ بذلك يحصُلُ به تيسيرُ أمرِ الصِّيامِ على المؤمِنِ.

ثمَّ ذَكَر صُوَرًا أخرى من صُوَرِ التَّيسيرِ، فقال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أي: فعليه أنْ يَقضيَ صيامَ الأيَّامِ الَّتي أفطَرها وذلك في أيَّامٍ أخرى.

ثمَّ قال اللهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فيجبُ على مَن استطاع الصِّيامَ ولم يصُمْ أنْ يُقدِّمَ عن كلِّ يومٍ أفطَره طعامًا لمسكينٍ، ومَن أطعَم أكثرَ مِن مسكينٍ فذلك أفضلُ. والصِّيامُ خيرٌ مِن الإفطارِ والإطعامِ؛ فإنَّ المؤمِنَ إذا عرَف ما في الصَّومِ مِن الخيرِ له فلن يتهاوَنَ في شأنِه.

وهذا الحُكمُ كان في صَدرِ الإسلامِ؛ حيثُ كان المُسلِمُ مخيَّرًا بَينَ الصَّومِ وإطعامِ مسكينٍ عن كلِّ يومٍ أفطَره، فإنِ اختار الصِّيامَ كان خيرًا له، ثمَّ نَسَخ اللهُ عزَّ وجلَّ التَّخييرَ في حقِّ القادِرِ على الصِّيامِ بقَولِه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، فأوجَب عليه الصَّومَ، وبقِيَ الفِطرُ والإطعامُ للعاجِزِ عنه، كالرَّجُلِ الكبيرِ والمرأةِ العَجوزِ.

وفي ذلك تتجَلَّى حِكمةُ اللهِ سُبحانَه وتعالى في التَّدرُّجِ بالتَّشريعِ رِفقًا بالعِبادِ.

ثمَّ مَدَح اللهُ تعالى شهرَ رَمضانَ، وبَيَّن أعظمَ فضائِلِه، فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ إمَّا أنَّه نزل كاملًا مِن اللَّوحِ المحفوظِ إلى السَّماءِ الدُّنيا في ليلةِ القَدْرِ، وإمَّا أنَّ ابتداءَ نزولِه على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان في ليلةِ القَدْرِ.

ثمَّ وَصَف اللهُ القرآنَ بقَولِه: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾، فالقُرآنُ يُرشِدُ إلى الحقِّ، ويشتَمِلُ على آياتٍ تُبَيِّنُ الحقَّ وتُثبتُه، وتَفصِلُ بَينَه وبَينَ الباطِلِ.

ثمَّ بيَّن اللهُ جلَّ وعلا مَن يجِبُ عليه صيامَ هذا الشَّهرِ العظيمِ، فقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: فمَن كان حاضرًا غيرَ مُسافِرٍ وجَب عليه صيامُ ما حضَرَه مِن أيَّامِ الشَّهرِ.

ولمَّا ذَكَر مَن يجِبُ عليه الصَّومُ ذَكَر مَن يُرَخَّصَ له في الفِطرِ، فقال: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فعليه أن يقضيَ الصِّيامَ في أيَّامٍ أخرى.

وإنَّما رخَّص اللهُ تعالى في ذلك، وشرَعَ القضاءَ؛ لأنَّه يحبُّ أن يُخفِّفَ عن المؤمنِينَ، فقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، فاللهُ تعالى شَرَع لكم ذلك؛ لأنَّه يُريدُ أن تُكمِلوا عدَّةَ رمضانَ بقَضاءِ الأيَّامِ الَّتي أفطَرتُموها.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ويُريدُ اللهُ عزَّ وجلَّ أن تُكبِّرُوه، بقولِ: اللهُ أكبَرُ، بعدَ انقِضاءِ رمضانَ؛ لِمَا أنعَم به عليكم مِن إرشادِكم إلى هذا الشَّهرِ، وتشريعِ صَومِه وأحكامِه، وتوفيقِكم لتحقيقِ صيامِه، ولتكونوا بهذا التَّكبيرِ وبغَيرِه مِن أنواعِ الشُّكرِ مِن الشَّاكِرين لنِعمةِ اللهِ تعالى.

ثمَّ قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

أي: إذا سأَلك المؤمنون عن قُربي -يا محمَّدُ- فأنا قريبٌ منهم، وأستجيبُ لدعاءِ مَن دعاني منهم، فأُعطيهم ما طلَبوا.

فتخَلُّلُ الدُّعاءِ أحكامَ الصِّيامِ فيه إشارةٌ إلى الاجتِهادِ فيه عندَ إكمالِ العِدَّةِ، بل وعندَ كلِّ فِطرٍ.

وفي قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ولم يقُلْ: (فقُلْ لهم: إنِّي قريبٌ) إشارةٌ إلى أنَّ اللهَ تعالى تولَّى جوابَهم عن سؤالِهم مباشَرةً دونَ واسِطةٍ؛ تنبيهًا على شدَّةِ قُربِ العَبدِ مِن ربِّه في مقامِ الدُّعاءِ.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: فلْيَنقادوا لي، ممتثِلينَ أوامري، ومجتَنِبين نواهيَّ، ولْيؤمِنوا بأنِّي أُثيبُهم على انقيادِهم لي، وأُجيبُ دعاءَهم وتضرُّعَهم لي؛ فلعلَّهم بذلك يوفَّقون للحقِّ والصوابِ.

ثمَّ عادت الآياتُ الكريماتُ للحديثِ عن أحكامِ الصِّيامِ، فقال اللهُ تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ أي: أُبيحَ لكم في ليالي الصِّيامِ مجامَعةُ نِسائِكم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ فكلٌّ مِن الزَّوجَينِ بمثابةِ اللِّباسِ للآخَرِ، وكلٌّ منهما سِترٌ للآخَرِ، وفي ذلك تحصينٌ لبَعضِهما.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَاشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

أي: عَلِم اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّكمُ كُنتُم -أيُّها المؤمنون- تخونون أنفُسَكم، فلا تَفُون بأمرِ اللهِ تعالى بالامتناعِ عن الجِماعِ في ليالي الصِّيامِ، إلَّا أنَّه قد تاب عليكم فأحلَّه لكم، وتجاوَز عنكم ما سلَف مِن التَّخَوُّنِ. فالآنَ لكم أن تُجامِعوهنَّ ليلًا، واطلُبوا بذلك ما قدَّر اللهُ تعالى لكم مِن الوَلَدِ. أو المعنى: اطلُبوا ليلةَ القَدْرِ، فلا ينبغي لكم أنْ تشتَغِلوا بلذَّةِ الجِماعِ عنها، فتُفوِّتوا أجرَها.

ثمَّ ذَكَر اللهُ تعالى إباحتَه الأكلَ والشُّربَ في أيِّ وقتٍ مِن اللَّيلِ، حتَّى يظهَرَ بياضُ النَّهارِ من سوادِ اللَّيلِ، وحينَها يجبُ الإمساكُ عنهما إلى غروبِ الشَّمسِ، فقال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾.

والآيةُ فيها جوازُ أن يُصبِحَ الصَّائمُ جُنُبًا؛ لأنَّ اللهَ أباح الجِماعَ حتَّى يتبيَّنَ الفَجرُ، فيلزمُ مِن هذا أنَّه إذا أخَّر الجِماعَ لَم يغتسِلْ إلَّا بعدَ طُلوعِ الفَجرِ، وقد ثبَت عن الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ أنَّه كان يُصبِح جُنُبًا مِن جِماع أهلِه، ثمَّ يصومُ.

ونهى اللهُ سُبحانَه المؤمنين عن الجِماعِ حالَ اعتِكافِهم للعبادةِ في بُيوتِه فقال: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾.

وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّ الاعتكافَ يكونُ في رمَضانَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى ذكَر حُكْمَه عقِبَ آياتِ الصِّيامِ.

وأنَّ الاعتكافَ مشروعٌ في كلِّ مَسجِدٍ؛ لعُمومِ قَولِه تعالى: ﴿فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾.

ثمَّ قال اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: فعليكم أنْ تُبقُوا أنفسَكم بعيدةً عن المحرَّماتِ الَّتي تقدَّمَ ذِكرُها.

وجاء قولُه سُبحانَه وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ عَقِبَ محرَّماتٍ، فناسَب أن يُنهى عن قِربانِها، والنَّهيُ عن قِربانِ شيءٍ أبلَغُ من النَّهيِ عن فِعلِه.

ثمَّ قال سُبحانَه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فبيَّن اللهُ تعالى للنَّاسِ أحكامَ الصِّيامِ أتمَّ تبيينٍ، وهكذا

يوضِّحُ لهم الأحكامَ الأخرى؛ ليجتَنِبوا ما حرَّمه.

والعِلمُ سببٌ للتَّقوى؛ فكلَّما ازداد الإنسانُ عِلمًا بآياتِ اللهِ ازداد تُقًى.

وقد بدأَتْ آياتُ الصِّيامِ بالتَّقوى؛ ففي آخِرِ الآيةِ الأُولى: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وفي ختامِ الآيةِ الأخيرةِ: ﴿... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ في إشارةٍ إلى أنَّ شأنَ الصِّيامِ يدورُ في فَلَكِ التَّقوى؛ ليَظفَرَ بها العبدُ بعدَ صيامِه وقد راعى فيه حدودَ رَبِّه... ويا لها مِن كرامةٍ عَظيمةٍ!

نَسألُ اللهَ جَلَّ ثَناؤُه أن يَرزُقَنا فهمًا في كِتابِه، ويوفِّقَنا للعَمَلِ بما فيه،

وأن يَجعَلَه حُجَّةً لنا لا علينا، وأن يُعينَنا على الصِّيامِ والقيامِ.

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: سُورَةُ البَقَرَةِ - موسوعة التفسير

المجلسُ العِشرون

ودخلتِ العَشْرُ

الحَمدُ للهِ الذي عَمَّنا بالخَيرِ والإحسانِ، وبلَّغَنا العَشرَ الأواخِرَ مِن رَمَضانَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن اتَّبَعَه واستَنَّ بسُنَّتِه إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ:

فقد جَرتِ العَادةُ أنَّ مَن يَتسابَقونَ، يَنشَطونَ ويَزيدُ فيهمُ الحَماسُ حَالَما يُبصِرُونَ خَطَّ النِّهايةِ يَلوحُ أمامَ أعيُنِهم، فيبذُلون أقصى جهدِهم للفوز، مَهما أضناهُمُ الإرهاقُ وأنهكَهُم التَّعَبُ.

لكنْ مِمَّا يُثيرُ العجَبَ أن يَكُونَ الأمرُ على غير ذلك لدى فِئامٍ مِنَ النَّاسِ فِي مِضمارِ الخَيراتِ والاستِباقِ إليها في شهرِ رمضانَ!

فَمِمَّا يؤسفُ له حَقًّا أنْ يَنقَطِعَ العبدُ عَنِ الخَيرِ، أو تَقِلَّ عِبادَتُه، أو يَضعُفَ حَماسُه عن مُواصَلةِ هذا الطَّريقِ، والحالُ أنَّه قد شارَفَ على نِهايَتِه!

فتَراه يَتَكاسَلُ عَن صَلاةِ التَّراويحِ، أو يُفرِّطُ في صَلاةِ الجَماعةِ، أو يَضعُفُ عَن قِراءةِ القُرآنِ والحِفاظِ على الأذكارِ، واللهُ عَزَّ وجَلَّ يَقولُ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]، يَعني: لا تَكونوا كالمَرأةِ الغازِلةِ الَّتي تَغزِلُ الصُّوفَ ثُمَّ إذا غَزَلَته وأتقَنَته نَقَضَته ومَزَّقَته، ففي الآيةِ دَلالةٌ على أنَّ الإنسانَ يَنبَغي أن يُحافِظَ على ما اعتادَه مِن الخَيرِ.

أيُّها الإخوةُ:

المُسلِمُ الحَقُّ هو مَنْ يُعَظِّمُ ما عَظَّمه اللهُ تعالى؛ وقد أقسَمَ الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ بهذه العَشرِ مُعَظِّمًا لشأنِها، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، وذلك على أحَدِ الأقوالِ في معنى هذه الآيةِ.

فلْيُحدِّثِ المرءُ نَفسَه بأنَّ رَمَضانَ أيَّامٌ معدوداتٌ، سريعةُ الانقِضاءِ، بل قد انقضى مُعظَمُها، وبَقِيَتْ منه هذه العَشرُ.

ولْيُحَدِّثْ نَفسَه بأنَّ بقاءَه على قَيدِ الحياةِ حتَّى شُهودِ رَمَضانَ للعامِ التَّالي غيرُ مضمونٍ.

رُوِيَ عن بعضِ الصَّالحينَ أنَّه أقام الصَّلاةَ ذاتَ يَومٍ، فقال لرَجُلٍ: تقدَّمْ فصَلِّ بنا، فقال الرَّجُلُ: إن صلَّيتُ بكم هذه الصَّلاةَ لم

أُصَلِّ بكم غَيرَها. فقال له: وأنت تُحَدِّثُ نَفسَك أنَّك تُصَلِّي صلاةً أخرى؟ نعوذُ باللهِ مِن طولِ الأمَلِ؛ فإنَّه يمنَعُ خَيرَ العَمَلِ!

ولا يدري المرءُ ما قد يَعرِضُ له في مُستقبَلِ أيَّامِه؛ فقد يُبتلى بمرَضٍ يمنعُه الصِّيامَ، أو يُقعِدُه عن القيامِ، أو يمنَعُه من شُهودِ الجماعةِ، أو يُبتلى بفَقرٍ شديدٍ لا يتمكَّنُ معه مِن تقديمِ عَونٍ لمحتاجٍ.

رُوِيَ أنَّ الحَسَنَ البَصريَّ سأل يومًا جُلَساءَه، فقال: يا مَعشَرَ الشُّيوخِ، ماذا يُنتظَرُ بالزَّرعِ إذا بلغ؟ قالوا: الحَصادُ. قال: يا مَعشَرَ الشَّبابِ، إنَّ الزَّرعَ قد تُدرِكُه العاهةُ قَبلَ أن يَبلُغَ!

لنُحَدِّثْ أنفُسَنا -أيُّها الإخوةُ- بأنَّ قُعودَ هِمَّتِنا عن مواصَلةِ الدَّربِ قد يكونُ نذيرًا لنا، يُخشى معه أنَّ اللهَ كَرِه انبعاثَنا وثبَّطَنا فترَكَنا مع القاعِدين.

فلْنُراجِعْ أنفُسَنا، ولْنتفَقَّدْ قُلوبَنا، ونراجِعْ مدى إخلاصِنا للهِ تعالى، ولْنُحاسِبْ أنفُسَنا على ما قدَّمنا.

أيُّها الأحبَّةُ:

لا يزالُ بابُ رَمَضانَ مَفتوحًا.

ولا تزالُ هناك فرصةٌ.

ولا تزالُ هناك لَيلةٌ مبارَكةٌ تفوقُ خيريَّتُها ألْفَ شَهرٍ.

ففي صحيحِ البخاريِّ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يجاوِرُ في العَشرِ الأواخِرِ من رمضانَ، ويقولُ: تحَرَّوا لَيلةَ القَدرِ في العَشرِ الأواخِرِ من رمضانَ)).

ولْنتذَكَّرْ كيف كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَعي قيمةَ هذه العَشرِ فيَدفَعُه ذلك للانطِلاقِ في العبادةِ باجتهادٍ كبيرٍ تهَجُّدًا واعتكافًا، متفَرِّغًا للعبادةِ، مُعتزِلًا للخَلقِ، حابِسًا نفْسَه بقَلبِه وجوارِحِه على التَّقَرُّبِ إلى اللهِ تعالى، يَعلَمُ جَيِّدًا أنَّه عبدٌ، وأنَّ العبوديَّةَ أشرَفُ مَراتِبِه، وأنَّه لا وسيلةَ لمخلوقٍ للوُصولِ إلى اللهِ والقُربِ منه والفَوزِ العظيمِ بجَنَّتِه إلَّا بالعبادةِ.

في صحيحِ مُسلِمٍ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يجتَهِدُ في العَشرِ الأواخِرِ ما لا يجتَهِدُ في غيرِه)).

وفي الصَّحيحينِ عنها رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا دَخَل العَشرُ شَدَّ مِئزَرَه، وأحيا لَيْلَه، وأيقَظَ أهلَه)).

المئزرُ هو ما يُلبَسُ مِنَ الثِّيابِ أسفلَ البدَنِ، وعبارةُ ((شَدَّ مِئزرَه)) فيها إشارةٌ إلى اعتِزالِ النِّساءِ في الفِراشِ وعَدمِ مُجامَعتِهنَّ، أو يَحتَمِلُ أن المرادَ بها الجدُّ في العِبادةِ؛ فإنَّه يُقالُ: شَدَدتُ في هذا الأمرِ مِئزَري، بمَعنى: تَشمَّرتُ له وتَفرَّغتُ، وقولها: ((وأحيا لَيلَه)) أي: بالسَّهرِ للعِبادةِ، ((وأيقظَ أهلَه)) لِيُصَلُّوا مِن اللَّيلِ، وهذا مِن تَشجيعِ الرَّجُلِ أهلَه على أداءِ النَّوافلِ والعِباداتِ، وتَحصيلِ خَيرِ هذه الأيَّامِ.

وفي الحديثِ: أنَّ اغتِنامَ أوقاتِ الفَضلِ يَحتاجُ إلى عزمٍ وصَبرٍ ومُجاهَدةٍ للنَّفسِ.

فلْنَقتَدِ برَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولْنَجتَهِدْ في هذه الأيَّامِ، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولْنحرِصْ على مصاحبةِ مَن يرفَعونَ الهِمَّةَ، ويُحيون العَزمَ، ويُجَدِّدون النَّشاطَ، ويُعِينون على الطَّاعةِ.

واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

و﴿فُرُطًا﴾ قيل: أي: ضائِعًا، فتمضي الأيَّامُ واللَّيالي دونَ أن ينتَفِعَ بشَيءٍ.

فلْنُرِ اللهَ من أنفُسِنا خيرًا.

ولْنُرِ اللهَ أنَّنا جادُّون حَقًّا في طَلَبِ رِضاه، والحُظوةِ بمَغفِرتِه.

ولْنَدْعُ اللهَ تعالى أن ييسِّرَ لنا هذا الأمرَ، وأن يُذهِبَ عنَّا رِجزَ الشَّيطانِ، ويَربِطَ على قلوبِنا، فلا نضطَرِبَ ولا نَضعُفَ ولا نتوانى مُطلَقًا.

ولْنبادِرْ إلى انتِهازِ هذه العَشرِ الأخيرةِ؛ فلعلَّنا نكونُ ممَّن أكملَ العِدَّةَ وأحسَن الخِتامَ وحَظِيَ بشَرَفِ الهدايةِ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فإنَّ الأعمالَ بخواتيمِها، والعِبرةُ بكَمالِ النِّهاياتِ، لا نَقصِ البِداياتِ.

رُوِيَ أنَّ أبا موسى الأشعَريَّ رَضِيَ اللهُ عنه اجتَهَد قَبلَ مَوتِه اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسَكتَ ورَفَقتَ بنفسِك؟ قال: إنَّ الخَيلَ إذا أُرسِلَت فقاربَت رأسَ مجراها أخرَجَت جميعَ ما عندَها، والَّذي بَقِيَ مِن أجَلي أقَلُّ مِن ذلك.

وهكذا كان حالُ الصَّالحينَ السَّابقينَ مِن هذه الأمَّةِ في الحِرصِ على إحسانِ خِتامِ رَمَضانَ في هذه العَشرِ بالاجتِهادِ الشَّديدِ في العبادةِ والتَّنافُسِ فيها، ومِن ذلك ما رُوِيَ عنهم في الإكثارِ مِن ختمِ القرآنِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ خِلالَ هذه العَشرِ المبارَكةِ.

نسألُ اللهَ تعالى أن يجعَلَنا من السَّابقينَ للخيراتِ، الحريصينَ على اغتنامِ خَيرِ الأوقاتِ،

وأن يُقَوِّيَ عزائمَنا، ويتقَبَّلَ منا صيامَنا وقيامَنا.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الحادي والعِشرون

ادْعوني أستَجِبْ لكم

الحَمدُ للهِ الذي أمَرَنا أن نَسألَه مِن فضلِه، ووعَدَ بالإجابةِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن أخبَرَنا أنَّ الدُّعاءَ هو العِبادةُ، وعلى آلِه وصَحبِه الكِرامِ السَّادةِ.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّه إذا عَصَفَت بكَ رياحُ الفِتَنِ وتقَلُّباتُ الحياةِ، وضاقَت بكَ السُّبُلُ، فتذَكَّرْ يا عبدَ اللهِ قولَ اللهِ تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإذا شَعَرْتَ بالقَلَقِ والاضطِرابِ يجتاحُكَ، ومشاعرِ الإحباطِ والاكتئابِ تستولي عليكَ، فرَدِّدْ أيُّها المسلمُ قولَ الله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإذا شَعَرْتَ بالتِّيهِ والحَيرةِ، وكأنَّك في صَحْراءَ شاسِعةٍ لا تعرفُ منها مَخرَجًا، فارفَعْ يديكَ موقِنًا بأنَّ اللهَ قَريبٌ.

فاللهُ تعالى يُجيبُ دُعاءَ الدَّاعي إذا التَجَأ إليه، واستَغاثَ به، وتَضَرَّعَ إليه، ولاذَ بجَنابِه، وقَرَعَ بابَه، فيَقبَلُ اللهُ دعاءَه وَلَو كانَ كافِرًا يَصرُخُ وقتَ الشِّدَّةِ مُستَغيثًا بلا تَصَنُّعٍ أو ادِّعاءٍ.

فحينَ تتَقَلَّبُ بِهِ سفينتُه التي يركبُها في عُرْضِ البَحرِ، وتَعصِفُ بِهِ الأمواجُ، ويَخشى على نَفسِهِ الهَلاكَ، فيشعُرُ باقترابِ المَوتِ، ويكادُ يَختَنِقُ منَ الرُّعبِ- يتَوَجَّهُ نحوَ السَّماءِ بقَلبٍ لا يَرى مُنقِذًا سِوى اللهِ، ويَنسى جميعَ معبوداتِه من دُونِ اللهِ.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

إنَّ من أبرزِ مظاهرِ العبوديَّةِ -أيُّها الإخوةُ- الدُّعاءَ، بل ((الدُّعاءُ هو العبادةُ))، كما صحَّ عن نبيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم

مِن حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

والفاتحةُ أمُّ الكتابِ نِصفُها دُعاءٌ، وأُنزِلَتَ أواخِرُ سورةِ البقرةِ مِن كَنزٍ تحتَ العرشِ، -كما صحَّ مِن حديثِ حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عنهُما- ومُعظمُها دعاءٌ.

وكان الدُّعاءُ ديدَنَ الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ، وكانوا أكثرَ الخَلقِ ذُلًّا وافتِقارًا وتَواضُعًا بينَ يَدَيِ اللهِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أي: كانوا يَدعُوننا رَغبةً منهم في ثوابِ اللهِ ورَحمتِه، ورَهبةً مِن عذابِه وغَضَبِه، وكانوا لنا مُتواضِعينَ خاضِعينَ، مُتذَلِّلينَ لا يَستكبِرونَ عن دُعائِنا، قد انكَسَرت قلوبُهم للهِ، وسكَنَت عن الالتِفاتِ إلى غَيرِ اللهِ.

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أي: إنَّ الَّذين يَتكَبَّرونَ ويَتعاظَمونَ عن دُعائي سيَدخُلونَ جَهنَّمَ وهم أذِلَّاءُ صاغِرونَ.

وتأمَّلْ -أخي الحبيبَ- قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، الَّذي ورَد في سياقِ آياتِ الصَّومِ.

وفي هذا إيماءٌ وإشعارٌ للصَّائمِ بالاجتهادِ بالدُّعاءِ في هذا الشَّهرِ.

وفيها وعدٌ صريحٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ بإجابةِ دعاءِ الدَّاعينَ، واللهُ سبحانهُ وتعالى لا يُخلِفُ الميعادَ. فاملأْ -أخي الكريم- لحظاتِ رَمَضانَ بالدُّعاءِ بقلبٍ خاشعٍ منكَسِرٍ، وعينٍ تَفيضُ مِن الدَّمعِ، واجعَلْ كُلَّ يومٍ ولَيلةٍ منهُ تعكِسُ حبَّكَ للهِ، وافتِقارَك إليه، والفَرَحَ بدعائِه، والتوسُّلَ إليه بإلحاحٍ، ومناشَدتَه بيقينٍ، والتَّلذُّذَ بمُناجاتِه برغبةٍ. وحالُ المسلمِ بعدَ إجابةِ الدُّعاءِ لا ينبغي أن تكونَ هي نفْسَها قَبلَ ذلك، وقد عابَ اللهُ تعالى قومًا وقَعوا في هذا، فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

فما أبشَعَها مِن صورةٍ قاتمةٍ! وما أقبَحَها مِن حالٍ مُظلِمةٍ في التَّعامُلِ معَ اللهِ!

فإذا أصابَ الإنسانَ الشِّدَّةُ والكَربُ اجتهَدَ في دعاءِ اللهِ في جميعِ أحوالِه؛ مُضطَجِعًا على جَنْبِه، أو قاعدًا، أو قائمًا، فلمَّا فَرَّج اللهُ

سُبحانَه عن هذا الإنسانِ المُضطَرِّ، واستجاب دُعاءَه، استمَرَّ على ما كان عليه مِن الكُفرِ أو المعاصي، ونَسِيَ أو تناسى ما كان فيه مِن الشِّدَّةِ، ولم يتَّعِظْ بذلك، ولم يَشكُرْ ربَّه، وكأنَّه لم يَدْعُ اللهَ أصلًا إلى رَفعِ ما أصابَه!

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ لِلدُّعاءِ آدابًا يَنبَغي التِزامُها والعِنايةُ بها حتَّى يَستَجيبَ اللهُ تعالى دُعاءَنا، ومنها:

الإخلاصُ، والطَّهارةُ، واستقبالُ القِبلةِ، ورَفعُ اليَدَينِ، والبَدءُ بتحميدِ اللهِ وتمجيدِه والثَّناءِ عليه، ثُمَّ الصَّلاةُ على رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، والدُّعاءُ بالأسماءِ الحُسنى، والإلحاحُ في الدُّعاءِ وتكريرُه ثَلاثًا، وخَفْضُ الصَّوتِ، والدُّعاءُ بالأفضَلِ والأعلى والأَولى، والدُّعاءُ بجوامِعِ الكَلِمِ، وتَركُ السَّجْعِ المُتَكَلَّفِ، وإذا دعا لنفسِه ولغَيرِه بَدَأ بنفسِه، والعَزمُ بالدُّعاءِ، وإعظامُ الرَّغبةِ، والرَّجاءُ وحُسنُ الظَّنِّ، وتَركُ التَّعَدِّي في الدُّعاءِ، وعَدَمُ الاستِعجالِ، وعَدَمُ الدُّعاءِ بتعجيلِ العُقوبةِ في الدُّنيا، وعَدَمُ الدُّعَاءِ على نفسِه بالمَوتِ، وعَدَمُ الدُّعاءِ على النَّفسِ والمالِ والأهلِ والوَلَدِ، وعَدَمُ الدُّعاءِ بإثمٍ أو قَطيعةِ رَحِمٍ، وتحَرِّي أوقاتِ الإجابةِ، والحذرُ مِن موانِعِ الإجابةِ كأكلِ الحرامِ والظلمِ.

فامدُدْ -يا عبدَ الله- كَفَّينِ مبسوطَتينِ تسألُ اللهَ بهما أن يُعطيَك، واغسِلْ قلبَك بدُموعٍ تنهَمِرُ على وَجنَتَيك تسألُ اللهَ بها أن يَغفِرَ لك ذنبَك، أو يَرفَعَ عنك ضُرَّك، وأنتَ تلهَجُ بالثَّناءِ على اللهِ مُوقِنًا بالإجابةِ بإذنِ اللهِ.

رَبَّنا أعِنَّا ولا تُعِنْ علينا، وانصُرْنا ولا تنصُرْ علينا، واهدِنا ويَسِّرِ الهُدى لنا، وانصُرْنا على من بغى علينا، ربَّنا اجعَلْنا لك شكَّارين، لك ذكَّارين، لك رهَّابين، لك مِطْواعين، لك مُخْبِتين، إليك أوَّاهين مُنيبين، ربَّنا تقبَّلْ توبَتَنا، واغسِلْ حَوبَتَنا، وأجِبْ دَعوتَنا، وثَبِّتْ حُجَّتَنا، وسَدِّدْ ألسِنَتَنا، واهْدِ قُلوبَنا، واسْلُلْ سَخيمةَ صُدورِنا.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: آدابُ الدُّعاءِ - موسوعة الآداب الشرعية

المجلسُ الثَّاني والعشرون

في رِحابِ سُورةِ القَدْرِ

الحَمدُ للهِ الذي أنزَلَ القُرآنَ العظيمَ في ليلةِ القَدرِ، وجَعَلها خيرًا من ألفِ شَهرٍ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رَحمةً للعالَمِينَ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن اهتدى بهَديِه إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ سورةَ القَدرِ -أيُّها الإخوةُ الأكارمُ- سورةٌ ذُكِرَت فيها فضائِلُ لَيلةِ القَدرِ، والتَّنويهُ بشَأنِ القُرآنِ الَّذي أُنزِلَ فيها، فلْنَتَعَرَّفْ على بَعضِ مَعانيها.

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

أي: أنزل اللهُ تعالى القُرآنَ في لَيلةِ القَدْرِ مِن شَهرِ رَمَضانَ، كما قال اللهُ سُبحانَه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال اللهُ عزَّ وجَل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]: أي: إنَّا أنزَلْنا القُرآنَ في ليْلةٍ كَثيرةِ البرَكاتِ والخيْراتِ.

وفي صحيحِ البخاريِّ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يجاوِرُ في العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضانَ، ويقولُ: تحَرَّوا ليلةَ القَدرِ في العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضانَ)).

فلَيلةُ القَدْرِ في العَشْرِ الأواخِرِ مِن هذا الشَّهرِ، وهي في الأوتارِ منها.

في صحيحِ مسلمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: رأى رجُلٌ أنَّ لَيلةَ القَدْرِ لَيلةُ سَبعٍ وعِشرينَ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أرى رُؤياكم في العَشْرِ الأواخِرِ، فاطلُبوها في الوِترِ منها)).

فيَنبغي للمسلمِ -أيُّها الإخوةُ- أنْ يَجتَهِدَ في لَيالي العَشرِ الأواخرِ مِن رمضانَ ما لا يجتَهِدُ في غيرِها؛ حتَّى لا يُحرَمَ مِن فَضْلِ لَيلةِ القَدْرِ وأجْرِها.

وقد سُمِّيتْ لَيلةُ القَدرِ بهذا الاسمِ؛ إمَّا لعَظيمِ قَدْرِها وشرَفِها، أو لأنَّ للطَّاعاتِ فيها قدْرًا، أو لتدوينِ الملائِكةِ فيها ما سيقَعُ مِن

الأقدارِ حتَّى العامِ التَّالي.

ويتبيَّنُ ممَّا سبَق مِن نزولِ القُرآنِ الكريمِ في هذه اللَّيلةِ الشَّريفةِ تعظيمُ لَيلةِ القَدْرِ لعَظَمةِ ما أُنزِلَ فيها.

ثمَّ قال اللهُ تعالى مؤكِّدًا لذلك التَّعظيمِ، وحَثًّا على الاجتهادِ في إحيائِها: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢].

أي: وما الَّذي أعلَمَك -يا محمَّدُ- أيُّ شَيءٍ لَيلةُ القَدْرِ؟! وفي هذا الأُسلوبِ تفخيمٌ لشأنِها وتعظيمٌ لها.

ثمَّ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣].

أي: إنَّ لَيلةَ القَدْرِ -في خَيرِها وبَرَكتِها وثَوابِ الأعمالِ فيها- أفضَلُ مِن ألْفِ شَهرٍ، ليس فيها ليلةُ القَدرِ.

روى البخاريُّ ومُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ((مَن قام لَيلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه)).

فبَيَّنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ مَن أحيَا هذه اللَّيلةَ المبارَكةَ بالصَّلاةِ وتِلاوةِ القرآنِ، غفَر اللهُ له ذنوبَه السَّابقةَ -غيرَ الحقوقِ الآدميَّةِ- بشرطِ أنْ يفعَلَ ذلك إيمانًا واحتسابًا، أي: تصديقًا بفضلِ هذه اللَّيلةِ، وفضلِ العملِ فيها، وابتغاءً لوجهِ اللهِ، وطَلَبًا للثَّوابِ مِنه سُبحانَه.

وقد وقَع الجزاءُ بصيغةِ الماضي ((غُفِرَ)) مع أنَّ المغفرةَ تكونُ في المستقبَلِ؛ للإشعارِ بأنَّه أمرٌ متيقَّنُ الوُقوعِ، مُتحقِّقُ الثُّبوتِ، فضلًا مِن اللهِ تعالى على عبادِه.

ثمَّ قال اللهُ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: ٤].

أي: تَهبِطُ الملائكةُ وجِبريلُ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ في لَيلةِ القَدْرِ بإذْنِ رَبِّهم لهم مِن كُلِّ أمرٍ ممَّا أمَرَ اللهُ به مِن الأرزاقِ والآجالِ وغَيرِ ذلك ممَّا يكونُ في تلك السَّنةِ.

قال اللهُ تعالى عن لَيلةِ القَدرِ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] أي: يُقضَى ويُبيَّنُ ويُكتَبُ فيها كُلُّ أمرٍ مُحكَمٍ مُشتَمِلٍ على الحِكمةِ البالِغةِ.

ثمَّ ذَكَر اللهُ سُبحانَه أنَّ لَيلةَ القَدْرِ متَّصِفةٌ بالسَّلامةِ التَّامَّةِ؛ فكان ذلك دليلًا على عظَمَتِها، فقال: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥].

فلَيلةُ القَدْرِ سالِمةٌ مِن كُلِّ شَرٍّ وأذًى وسُوءٍ. وعَرَّف بمُنتهاها فقال: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾، أي: إلى زَمَنِ طُلوعِ الفَجْرِ؛ ليَحرِصَ النَّاسُ على كثرةِ العَمَلِ فيها قبلَ انتِهائِها.

فيُشرَعُ الدُّعاءُ فيها والتَّقَرُّبُ إلى اللهِ تبارك وتعالى بالصَّلاةِ وقِراءةِ القُرآنِ مِن بَعْدِ غُروبِ الشَّمسِ إلى طُلوعِ الفَجْرِ.

ومِن علاماتِ لَيلةِ القَدرِ أنَّ الشَّمسَ تطلُعُ في صبيحَتِها صافيةً ليس لها شُعاعٌ.

روى مُسلِمٌ عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أخبَرَنا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّها تطلُعُ يومَئذٍ لا شُعاعَ لها)).

وفي لفظٍ آخَرَ لِمُسلمٍ عن أبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أمارَتُها أن تطلُعَ الشَّمسُ في صبيحةِ يَومِها بيضاءَ لا شُعاعَ لها)).

أي: تكونُ نَقيَّةً لا يُرَى لها أشعَّةٌ مُمتدَّةٌ، فيَنتشِرُ ضَوؤُها بلا شُعاعٍ كما يُضيءُ القَمرُ بلا شُعاعٍ.

أيُّها الأحبَّةُ:

هذه اللَّيلةُ الشَّريفةُ ليس كمِثلِها لَيلةٌ... قد مَيَّزَها اللهُ تعالى -كما تَقَدَّمَ بَيانُه- عن سائِرِ ليالي العامِ، فأنزَلَ فيها القُرآنَ، وجَعَلَها مُبارَكةً، وجَعَلَها خَيرًا مِن ألْفِ شَهرٍ، وجَعَلَ مَن قامها إيمانًا واحتِسابًا مَغفورًا له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِه، وجَعَلَها زَمَنًا شَريفًا لنُزولِ المَلائِكةِ وجِبريلَ علَيهِمُ السَّلامُ، وفيها يُفْرَقُ كُلُّ أمرٍ حَكيمٍ مِن عِندِ اللهِ تعالى، وهي سالِمةٌ مِن جَميعِ الآفاتِ والشُّرورِ حتَّى نِهايَتِها مَعَ طُلوعِ الفَجرِ.

وكَونُها مَخفيَّةً غَيرَ مُحَدَّدةٍ يَعني الاجتِهادَ في لَيالي العَشرِ كُلِّها، والتماسَ لَيلةِ القَدرِ فيها، وخصوصًا في أوتارِها.

فينبغي أن نَقدُرَ هذه اللَّيلةَ قَدْرَها، ونوَفِّيَها حَقَّها، ونَتَعَرَّضَ لنَفَحاتِها.

اللهُمَّ إنَّا نسألُك من الخَيرِ كُلِّه؛ عاجلِه وآجلِه، ما عَلِمنا منه وما لم نعلَمْ، ونعوذُ بك من الشَّرِّ كُلِّه؛ عاجِلِه وآجِلِه، ما عَلِمنا منه وما لم نعلَمْ، ونسألُك الجنَّةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عَمَلٍ، ونعوذُ بك من النَّارِ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عَمَلٍ، ونسألُك ممَّا سألك به نبيُّك محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ونعوذُ بك ممَّا تعوَّذ منه نبيُّك محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وما قَضَيتَ لنا من قضاءٍ فاجعَلْ عاقِبَتَه رُشدًا.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: سُورةُ القَدْرِ - موسوعة التفسير

للمزيد: أصحُّ ما وَرَدَ من الأحاديث في ليلة القَدْر

المجلسُ الثَّالثُ والعِشرون
لعلَّكُم تَتَفكَّرُون

الحَمدُ للهِ علَّامِ الغُيوبِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من كان إذا وَعَظ ذَرَفَت العُيونُ، ووَجِلَت القُلوبُ، وعلى آلِهِ وأصحابِه الذين كانوا خَيرَ صَحبٍ لأشرَفِ مصحوبٍ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ في آياتِ اللهِ الكونيةِ عظةً وعبرةً، فالهلالَ يُرى صَغيرًا ثُمَّ يَكبرُ تَدريجيًّا، حتَّى يَكتَمِلَ بَدرًا مُنيرًا، ثُمَّ يَتناقصُ شَيئًا فشَيئًا، حتَّى يُرى صَغيرًا كَما بَدَأ، ثُمَّ يَختَفي في نِهايةِ الشَّهرِ.

وهَكَذا حالُ الإنسانِ؛ يَنشَأُ جَنينًا، ويَنمو مَعَ مُرورِ الوقتِ حتَّى يَبلُغَ أواسِطَ العُمرِ، فتَشتَدَّ قوَّتُه وتَبلُغَ كَمالَها، ثُمَّ يَبدَأُ رِحلةَ العَودةِ، فتَضعُفُ قوَّتُه وتَهِنُ عِظامُه حتَّى يَبلُغَ أرذَلَ العُمُرِ فلا يَعلَمَ مِن بَعدِ عِلمٍ شَيئًا، أو يَخطَفُه المَوتُ قَبلَ ذلك فيَغدو أثَرًا بَعدَ عَينٍ.

وهَكَذا تَدورُ الحَياةُ... كالنَّباتِ يَكونُ بَذرةً في الأرضِ مَخفيَّةً، ثُمَّ تَنمو بمُرورِ الزَّمانِ حتَّى تَغدوَ شَجَرةً مُثمِرةً مُخضَرَّةً، ثُمَّ لا تَلبَثُ أوراقُها أن تَذبُلَ وتَصفرَّ، ثُمَّ تُصبِحُ فُتاتًا تُشتِّتُها الرِّياحُ.

كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَاحُۗ﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

وإذا كان الأمرُ كذلك فإنَّ العاقِلَ يَستَيقِظُ مِن غَفلَتِه، ويَتَذَكَّرُ سائِلًا نَفسَه: فيمَ التَّشَبُّثُ بها وهيَ فانيةٌ؟! وعَلامَ الرَّكضُ وراءَ حُطامِها وهيَ سَرابٌ زائِلٌ؟!

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ

ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

أي: لقومٍ يتفكَّرونَ فيعتبرونَ، فلا يغترُّونَ بالدُّنيا الفانيةِ.

ثمَّ قال اللهُ تعالى عَقِبَ ذلك: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

فاللهُ يدعو عِبادَه إلى دُخولِ جَنَّتِه السَّالِمةِ مِن جميعِ المساوئِ، فاطلُبوها بِطاعَتِه -أيُّها المسلمون- ولا تطلُبوا الدُّنيا وزينَتَها؛ فإنَّها مليئةٌ بالنَّكَباتِ، ومصيرُها إلى زَوالٍ.

واستمِعْ يا عبدَ الله إلى قولِ الله: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

ما الحَياةُ الدُّنيا بما فيها مِن لذَّاتٍ وشهواتٍ إلَّا مَتاعٌ يَتمَتَّعُ به النَّاسُ زَمَنًا قَليلًا، وهي مُجرَّدُ مُتعةٍ فانيةٍ تَخدَعُ صاحِبَها؛ فلا يَنبغي لعاقلٍ أن يَركنَ إليها.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠].

وفي صحيحِ مسلمٍ عن المُستَورِدِ بنِ شَدَّادٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((واللهِ ما الدُّنيا في الآخِرةِ إلَّا مِثلُ ما يَجعَلُ أحَدُكم إصْبَعَه هذه في اليَمِّ، فلْيَنظُرْ بِمَ تَرجِعُ؟)).

وفي صَحيحِ البُخاريِّ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((أخَذَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنكِبي، فقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَريبٌ أو عابِرُ سَبيلٍ))، وكان ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقولُ: (إذا أمسَيتَ فلا تَنتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أصبَحتَ فلا تَنتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِك لمَرَضِك، ومِن حَياتِك لمَوتِك).

كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غَريبٌ قَدِمَ بَلدًا لا مَسْكنَ له فيه يُؤويه، ولا ساكِنَ يُسلِّيه، خالٍ عن الأهلِ والعيالِ وما يُشغلُه عن الخالِقِ.

أو كُنْ كالَّذي خرَجَ مُسافِرًا يَمُرُّ بالبِلادِ غيرَ مُتوقِّفٍ فيها إلَّا لِيَتزوَّدَ منها؛ فعابرُ السَّبيلِ أشدُّ زُهدًا في مُغرَياتِ طَريقِه مِن الغَريبِ؛

لأنَّ الغَريبَ قدْ يَسكُنُ في بِلادِ الغُربةِ ويُقيمُ فيها، بخِلافِ عابِرِ السَّبيلِ، وبيْنَه وبيْنَ بلدِه مَسافاتٌ شاسِعةٌ، وهو في حالةِ تَخفُّفٍ دائمةٍ مِن كلِّ ما يَعوقُه أو يؤخِّرُه عن بُلوغِ مَقصَدِه. وقيل: إنَّ «أو» بمَعْنى «بلْ»، أي: بلْ كُنْ كأنَّك عابرُ سَبيلٍ، وهو ارتِفاعٌ به إلى مَنزلةٍ أعْلَى في الزُّهدِ مِن مَنزلةِ الغَريبِ.

والمرادُ: أنَّ على المُؤمنِ أنْ يَستحضِرَ في قلبِه دائمًا حالةَ الغريبِ أو المُسافِرِ في تَعامُلِه مع شَهواتِ الدُّنيا ومُتطلَّباتِها؛ ليَصِلَ بذلك إلى آخِرتِه.

وقدْ تعلَّم ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما هذا الدَّرسَ ووَعاه جيِّدًا، فكان يقولُ لنَفسِه ولغيرِه: (إذا أمسيتَ فلا تَنتظِرِ الصَّباحَ، وإذا أصبَحتَ فلا تنتَظِرِ المساءَ، وخُذْ من صحَّتِك لمَرَضِك، ومن حياتِك لموتِك)؛ فإذا أَمسيتَ فلا تَنتظِرِ الصَّباحَ بألَّا تُؤخِّرَ عَمَلًا مِن الطَّاعاتِ إلى الصَّباحِ؛ فربَّما تكونُ مِن أهلِ القُبورِ قبلَ ذلك، وإذا أصبَحْتَ فلا تُؤخِّرْ عَمَلَ الخيرِ إلى المساءِ؛ فقدْ يُعاجِلُك الموتُ، واغتنِمِ الأعمالَ الصَّالحةَ في الصِّحَّةِ قبْلَ أنْ يحُولَ بيْنك وبيْنها المرضُ، واغتنِمْ حَياتَك في الدُّنيا، فاجمَعْ فيها ما يَنفَعُك بعْدَ مَوتِك.

وثَبَتَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قَلَّما كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقومُ مِن مَجلِسٍ حتَّى يَدعوَ بهؤلاء الكَلِماتِ لأصحابِه: ((اللهُمَّ اقسِمْ لَنا مِن خَشيَتِكَ ما يَحولُ بَينَنا وبَينَ مَعاصيك، ومِن طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا به جَنَّتَك، ومِن اليَقينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مُصيباتِ الدُّنيا، ومَتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتِنا ما أحيَيتَنا، واجعَله الوارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثَأرَنا على مَن ظَلَمَنا، وانصُرْنا على مَن عادانا، ولا تَجعَلْ مُصيبَتَنا في دينِنا، ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبَرَ هَمِّنا، ولا مَبلَغَ عِلمِنا، ولا تُسَلِّطْ علينا مَن لا يَرحَمُنا)).

فقوله: ((ولا تَجعَلْ مُصيبَتَنا في دينِنا)) أي: لا تُصِبْنا بنَقْصٍ في دينِنا من اعتقادِ سُوءٍ، أو أكْلِ حرامٍ، أو فَترةٍ وكَسلٍ في العبادةِ وغيرِ ذلك مِن المعاصِي المهلِكات، والمصيبةُ في الدِّينِ هي المصيبةُ الحقيقيَّةُ؛ لأنَّه إذا بقِيَ دِينُ المرءِ فما فاتَه من الدُّنيا شيءٌ، وإذا ضاعَ دِينُه لم يَفُزْ بشيءٍ.

وقوله: ((ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبَرَ هَمِّنا))، أي: لا تجعَلْ أعظَمَ ما نَقصِدُه ونَهتَمُّ به ونَحزَنُ مِن أجْلِه هو أمورَ الدُّنيا، فنَنشَغِلَ بها، وتُلهِيَنا عن العِبادةِ والطَّاعةِ.

وقوله: ((ولا مَبلَغَ عِلْمِنا))، أي: لا يَكونُ عِلمُنا كلُّه هو التَّفكُّرَ في شُؤونِ الدُّنْيا؛ ونَنْسَى الآخِرةَ.

وتَذَكَّرْ يا عبدَ الله أنَّ أيَّامَ الإنسانِ في الدُّنيا مِثلُ أوراقِ الشَّجَرِ، كلَّما سَقَطَت ورَقةٌ ذَهَبَ يَومٌ، وهَذا اليَومُ لا يَعودُ أبَدًا، حتَّى

يَقتَرِبَ الأجَلُ، وتَسقُطَ بَقيَّةُ أوراقِ العُمُرِ، ثُمَّ تَنتَهي الحَياةُ... مِثلُ هلالِ رَمَضانَ، حَالَمَا يَنقَضي الشَّهرُ!

﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ * وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الرَّابعُ والعِشرون

رمضانُ والتَّوبةُ

الحَمدُ للهِ التَّوَّابِ الرَّحيمِ، يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ ليَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، وبِالنَّهارِ ليَتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ.

أمَّا بَعدُ:

فلا يخلو إنسانٌ من معصيةٍ، لكِنَّ حالَ المؤمِنِ معَ ذُنوبِه ليس كحالِ الفاجِرِ.

فحالُ المُؤمِنِ مع ذُنوبِه كرجُلٍ قاعدٍ تحتَ جبَلٍ يَخافُ أن يَقَعَ عليه، فالمُؤمِنُ ينظُرُ إلى عَظَمةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وجَلالِه، وعِزِّ سُلطانِه، وغناه عن خَلقِه، وفَقرِ خَلقِه إليه، ويعلمُ أنَّ يَسيرَ المعصيةِ عنده جَلَّ جَلالُه ليس بيسيرٍ. بينَما يَنظُرُ الفاجِرُ -وهو الفاسِقُ المُستهترُ- لذُنوبِه باستخفافٍ، حتى إنَّه يرى كبائِرَ الذُّنوبِ سَهلةً يسيرةً، كأنَّها ذُبابٌ مرَّ على أنفِه فأشار بيَدِه، فذَهَب الذُّبابُ ولم يُؤثِّر فيه، لا لِخِفَّةِ ذُنوبِه، ولكِن لِخِفَّةِ إيمانِه باللهِ سُبحانَه.

لذا، فالمؤمِنُ يُسارِعُ إلى التَّوبةِ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِنَ الذُّنوبِ والمعاصي؛ فقد أمَرَ اللهُ سبحانه تعالى بها، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ أي: تَوبةً صادِقةً بنِيَّةٍ خالِصةٍ، مع إقلاعٍ عن الذُّنوبِ، ونَدَمٍ عليها، وعَزمٍ على عَدَمِ العَودةِ إليها، ومتحَلِّلًا من ظُلمِ العبادِ بَرَدِّ حُقوقِهم، وطَلَبِ عَفوِهم.

وفي الصَّحيحَينِ عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((للهُ أشَدُّ فرَحًا بتَوبةِ عَبدِه المُؤمِنِ مِن رَجُلٍ في أرضٍ دَوِيَّةٍ [أي: صحراءَ خاليةٍ لا نباتَ فيها] مُهلِكةٍ، مَعَه راحِلَتُه عليها طَعامُه وشَرابُه، فنامَ فاستَيقَظَ وقد ذَهَبَت، فطَلَبَها حَتى أدرَكَه العَطَشُ، ثُمَ قال: أرجِعُ إلى مَكاني الذي كُنتُ فيه، فأنامُ حتى أموتَ، فوضَعَ رَأسَه على ساعِدِه ليَموتَ، فاستَيقَظَ وعِندَه راحِلَتُه وعليها زادُه وطَعامُه وشَرابُه، فاللهُ أشَدُّ فرَحًا بتَوبةِ العَبدِ المُؤمِنِ مِن هذا براحِلتِه وزادِه)).

فتصوَّرْ -أخي المُسلِمَ- مَشهَدَ رَجُلٍ نزَل في أثناءِ سَفَرِه أرضًا خاليةً لا نَباتَ فيها، وكانت معه دابَّةً يَركَبُ عليها وفيها طعامُه وشرابُه، وبعد تَعَبٍ مِنَ السَّيرِ أخلد للرَّاحةِ، فنام نَوْمةً لا يَشعُرُ معها بما حولَه، ثمَّ استَيقظ وقدْ ذهبَتْ دابَّتُه وتاهت في تلك الصَّحراءِ، فظَلَّ يَبحَثُ عنها حتَّى اشْتَدَّ عليه الحرُّ والعَطَشُ، وبعْدَ مُحاوَلاتٍ مُضنيةٍ من البَحثِ دونَ جَدوى حدَّث نَفْسَه بأن يرجِعَ إلى مَكانِه الذي نام فيه لينتَظِرَ الموتَ، فرَجَع فنام ثُمَّ استيقظ فوَجَد دابَّتَه أمامَه قد عادت إليه، فلا شَكَّ أنَّ مَن هذه حالُه يَفرَحُ فرحًا شديدًا، حتى إنَّه اضطرَب فأخطَأ من شِدَّةِ الفَرَحِ، فقال: ((اللَّهُمَّ أنت عبدِي وأنا ربُّك)). كما جاء في روايةٍ أخرى.

فاعلَمْ أنَّ اللهَ سُبحانَه أشدُّ فَرَحًا بتَوبةِ عبْدِه مِن ذلك الرَّجُلِ.

واللهُ يَحُثُّ عِبادَه على التَّوبةِ مهما عَظُمت الذُّنوبُ وكَثُرت الخطايا.

قال سُبحانُه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فجاء النَّهيُ الإلهيُّ لجَميعِ العِبادِ الذين أثقَلوا أنفُسَهم بالآثامِ، عن اليأسِ مِن رَحمةِ رَبِّهم مُعتَقدينَ أنَّ اللهَ لن يَغفِرَ لهم ذُنوبَهم؛ فإنَّ اللَّائقَ به أنَّ مَن لجَأ إليه لا يُخَيِّبُه ولا يَرُدُّه.

وقولُه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ﴾ فيه إقبالُه سُبحانَه عليهم، وإضافتُهم إليه، وفيه مِنَ التَّودُّدِ إليهم والتَّلَطُّفِ بهم ما يَحُثُّ على المُبادَرةِ بالتَّوبةِ.

وتأمَّلْ -أخي الحبيبَ- ما جاء عَن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عنه؛ حيث قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ اللهَ يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ ليَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبسُطُ يَدَه بالنَّهارِ ليَتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ من مَغرِبِها)).

فهذا الحديثُ العظيمُ يُبيِّنُ أنَّ اللهَ يَقبَلُ التَّوبةَ عَن عِبادِه وإن تأخَّرت بَعدَ ارتِكابِ الذَّنبِ، فإن أذنَبَ العَبدُ ذَنبًا بالنَّهارِ وتابَ باللَّيلِ، قَبِلَ اللهُ تَوبَتَه، وإن أذنَبَ ذَنبًا باللَّيلِ وتابَ بالنَّهارِ، قَبِلَ اللهُ تَوبَتَه، وبَسَطَ يَدَه سُبحانَه يَتلَقَّى بهما تَوبةَ التَّائِبِ فَرَحًا بِها، وقَبولًا لها. ولا يَزالُ الأمرُ كذلك بالعِبادِ حتى تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِها.

ثبَت عَن صَفوانَ بنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ اللهَ جَعَلَ بالمَغرِبِ بابًا عَرضُه مَسيرةُ سَبعين عامًا

للتَّوبةِ لا يُغلَقُ ما لَم تَطلُعِ الشَّمسُ من قِبَلِه، وذلك قَولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية)).

كما لا تُقبَلُ توبةُ من حَضَرَه المَوتُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] فالآيةُ دالةٌ على أنَّ من حضَرَه الموتُ وشاهدَ أهوالَه فإنَّ توبتَه غير مقبولةٍ.

أيُّها الأحبَّةُ:

إنَّ رَمَضانَ فُرصةٌ عَظيمةٌ لأن يَرِقَّ قَلبُ المُؤمِنِ بسَبَبِ الصِّيامِ وبسَبَبِ التَّأثُّرِ بمَواعِظِ القُرآنِ والإقبالِ على طاعةِ الرَّحمنِ؛ بما يُذَكِّرُ بلِقاءِ اللهِ، ويَطرُدُ الغَفلةَ عَن المَوتِ والبَعثِ وأهوالِ القيامةِ، والحِسابِ والجَزاءِ فيها، وهَذا يَحمِلُ على شِدَّةِ الرَّغبةِ في التَّخَلُّصِ مِن الذُّنوبِ وآثارِها، والمَعاصي وشُؤمِها فيجتهدَ في طَلَبِ المَغفِرةِ مِن اللهِ وأن يَقبَلَ تَوبَتَه ويَعفوَ عَنه قَبلَ أن يُدرِكَه المَوتُ، ولَن يَنفَعَ النَّدَمُ حينَئِذٍ.

فيا أيُّها الأخُ الحَبيبُ تُبْ واصدُقْ في تَوبَتِك مَعَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مُقبِلًا على تنقيةِ قَلبِكَ، وتَطهيرِ نَفسِكَ.

واحفَظْ تَوبَتَكَ مِمَّا يُفسِدُها، وزَكِّ نَفسَكَ بما يُصلِحُها.

واجعَلِ التَّوبةَ مُحَفِّزةً لكَ مِن أجلِ تَغييرِ حَياتِكَ وتَصحيحِ مَسارِكَ.. مُسارِعًا في الحَسَناتِ، ومُستَدرِكًا ما فاتَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ الخامسُ والعِشرون

تعظيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ

الحَمدُ للهِ الذي جَعَل الصَّلاةَ رُكنَ الإسلامِ الرَّكينَ، وقُرَّةَ عُيونِ المؤمنين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الصَّادِقِ الأمينِ، وعلى آلِه وصَحبِه إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ الصَّلاةَ لها منزلةٌ عَظيمةٌ في الإسلامِ؛ فهي من أعظَمِ أركانِه، وأهَمِّ شَعائِرِه، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وإنَّ استِحضارَ عِظمَ قدرِ الصَّلاةِ و ما لها مِن فضائِلَ، يَحمِلُ المسلمُ على تَعظيمِها وشِدَّةِ الرَّغبةِ فيها.

فمِن فَضلِها وعَظيمِ شَأنِها عِندَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فرضُ الصَّلَواتِ الخَمسِ في السَّماءِ.

وذلك في ليلةِ الإسراءِ والمِعراجِ، كما رَواه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حَديثِ مالِكِ بنِ صَعصَعةَ وأنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، ففُرِضَت عليه خَمسونَ، ثُمَّ صارَت خَمسًا؛ رَحمةً وفضلًا مِنَ اللهِ تعالى على هذه الأُمَّةِ المُحَمَّديَّةِ.

والصَّلاة مُناجاةٌ بَينَ العَبدِ وربِّه.

في الصَّحيحَينِ عَن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ المُؤمِنَ إذا كان في الصَّلاةِ فإنَّما يُناجي رَبَّه)). فلْيَستشعِرِ المصلِّي في صلاتِه قُرْبَ اللهِ منه، وأنَّه بمرأًى منه ومسمَعٍ، وأنَّه مُناجٍ له، وأنَّه يسمَعُ كلامَه، ويرى مكانَه، ويُجيبُ دُعاءَه، ويُقبِلُ عليه سُبحانَه.

ثَبَتَ عَنِ الحارِثِ الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ اللهَ أوحى إلى يَحيى بنِ زَكَريَّا بخَمسِ كَلِماتٍ أن يَعمَلَ بهنَّ، ويَأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بهنَّ))، وذَكَرَ مِنها: ((وإذا قُمتُم إلى الصَّلاةِ فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يُقبِلُ بوَجهِه إلى وَجهِ عَبدِه ما لم يَلتَفِتْ)).

أي: فلا تتَحوَّلوا بوُجوهِكم عن جهةِ القِبلةِ أثناءَ الصَّلاةِ، فإنَّ اللهَ يُقبِلُ بوَجهِه على المُصَلِّي ما دامَ خاشِعًا، فإذا الْتفَت زالَ الخُشوعُ

وأعرَض اللهُ عنه.

والصَّلاةُ تمحُو الخَطايا.

رَوى البخاريُّ ومسلمٌ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((أرَأيتُم لو أنَّ نَهرًا بِبابِ أحَدِكُم يَغتَسِلُ مِنه كُلَّ يَومٍ خَمسَ مَرَّاتٍ، هَل يَبقى مِن دَرَنِه شَيءٌ؟ قالوا: لا يَبقى مِن دَرَنِه شَيءٌ، قال: فذلك مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمسِ، يمحو اللهُ بهنَّ الخَطايا)).

فكما يَتدَنَّسُ المرءُ بالأقذارِ المَحسوسةِ في بَدَنِه وثِيابِه، ويُطهِّرُه الماءُ الكَثيرُ، فكذلك الصَّلواتُ تُطهِّرُ العَبدَ مِن أقذارِ الذُّنوبِ، حتى لا تُبقيَ له ذَنبًا إلَّا كَفَّرتْه، إذا اجتُنِبتِ الكَبائِرُ، كما روى مُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((الصَّلَواتُ الخَمسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ: مُكَفِّراتٌ ما بَينَهُنَّ إذا اجتنبَ الكَبائِرَ)).

والصَّلاةُ راحةٌ.

صَحَّ عَن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قال: ((يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ، أرِحنا بها)).

فإنَّ في الصَّلاةِ مِن الصِّلةِ باللهِ ومُناجاتِه ما يَجعَلُ القَلبَ يَرتاحُ ويَخرُجُ مِن متاعبِ الدُّنيا إلى مَعِيَّةِ الحَقِّ سُبحانَه.

والصَّلاةُ عَونٌ على تَحَمُّلِ الشَّدائِدِ ومُواجَهةِ المصاعِبِ.

قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

أي: يا مَعشرَ المؤمِنين، عليكم بالتزامِ الصَّبرِ وأداءِ الصَّلاةِ؛ فهُما عونٌ لكم على عظيمِ الأعمالِ، مِن فعلِ الطَّاعاتِ، وتَرْكِ المحظوراتِ، وعلى ما يُصيبُ العبدَ من مُصيباتٍ.

والصَّلاةُ هي أوَّلُ ما يحاسَبُ عليه العَبدُ يومَ القيامةِ.

ثَبَتَ عَن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: ((أوَّلُ ما يُحاسَبُ به العَبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ، فإن صَلَحَت صَلَحَ سائِرُ عَمَلِه، وإن فسَدَت فسَدَ سائِرُ عَمَلِه)).

فيَنبَغي للمُؤمِنِ أن يَحرِصَ على إتقانِها وحِفظِها، وهذا مِن أسبابِ تَوفيقِ اللهِ له في جَميعِ أعمالِه بَعدَ ذلك، ومَن ضَيَّعَها فهو لِمَا

سِواها أضيَعُ.

وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى: الصَّلاةُ على وَقتِها.

رَوى البخاريُّ ومسلمٌ عَن عَبدِ الله بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه، قال: ((سَألتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ قال: الصَّلاةُ على وقتِها)).

وفي ذلك حَثٌّ على الإسراعِ في أدائِها، وفي أدائِها أوَّلَ الوَقتِ دَليلٌ على أنَّ المُسلِمَ يَعرِفُ حَقَّ اللهِ، ويُحافِظُ عليه، وقد توعَّد اللهُ تعالى الذين يُضيِّعونَ أوقاتِ الصلواتِ فقال فيهم: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، وهُمُ الذين يُؤَخِّرونَ الصَّلاةَ عن وَقتِها، أو حتى يَخرُجَ وَقتُها.

وأداءُ الصَّلاةِ جَماعةً شأنُه عَظيمٌ.

فمِن عِنايةِ الله تعالى بشَأنِ الجَماعةِ أنَّه حَثَّ على بناءِ المَساجِدِ ورَفعِها وعِمارَتِها، والمُرابَطةِ فيها والتَّعلُّقِ بها، ورَتَّبَ على السَّيرِ إلَيها أنْ جعَل خطوةً تمحو سَيِّئةً، وخطوةً ترفعُ درجةً، كَما صَحَّ عَن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

وحذَّرَ مِن التَّخَلُّفِ عَنها.

ففي الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ أثقَلَ صَلاةٍ على المُنافِقينَ صَلاةُ العِشاءِ وصَلاةُ الفجرِ، ولَو يَعلَمونَ ما فيهما لأتَوهما ولَو حَبوًا، ولَقد هَمَمتُ أن آمُرَ بالصَّلاةِ فتُقامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فيُصَلِّيَ بالنَّاسِ، ثُمَّ أنطَلِقَ مَعي برِجالٍ مَعَهم حُزَمٌ مِن حَطَبٍ إلى قَومٍ لا يَشهَدونَ الصَّلاةَ، فأُحَرِّقَ عليهم بيوتَهم بالنَّارِ)).

ولا تَنْسَ -أخي المُسلمَ- أنَّ الخُشوعَ في الصَّلاةِ هو رُوحُها.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ * ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

فالصَّلاةُ سهلةٌ وخفيفةٌ على مَن خشَع فخضَع للهِ تعالى واطمأنَّ إليه قَلبُه، وظهرَ أثرُ ذلك على جوارحِه، والخاشِعون هم الموقِنون بعَودتِهم إلى اللهِ تعالى.

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ففاز وظَفِر بخَيرِ الدُّنيا والآخرةِ المُؤمِنونَ الذين مِن صِفاتِهم أنَّهم في صَلاتِهم خاضِعونَ، مُتَذلِّلونَ للهِ ساكِنونَ، مُتدَبِّرونَ لِما يقولونَ فيها.

والصَّلاةُ هي أفضَلُ ما يدَّخِرُه المُسلِمُ لآخرتِه.

صَحَّ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((رَكعَتانِ خَفيفتانِ بِما تَحقِرونَ وتَنَفَّلونَ يَزيدُهما هذا في عَمَلِه أحَبُّ إليه مِن بَقيَّةِ دُنياكُم)).

فعندَما يَموتُ الإنسانُ يُدرِكُ قِيمةَ الأشياءِ على حقيقتِها، فيُدرِكُ أنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ التي تَزيدُ ثوابَه خيرٌ له من مَتاعِ الدُّنيا كُلِّه.

فرَكعتانِ يسيرتانِ في القِراءةِ والأذكارِ، ((بِما تَحقِرون))، أي: تَستَقِلُّون أجرَهما، ((وتَنَفَّلون))، أي: تُصَلُّونَهما تطوُّعًا للهِ، ((يزيدُهما هذا في عَمَلِه)) وكأنَّه يُشيرُ إلى قَبرٍ قد دُفِنَ حديثًا، والمرادُ به: الميِّتُ الذي في القَبرِ، فأجرُ الرَّكعتينِ أحَبُّ إلى الميِّتِ من الدُّنيا.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: تمهيدٌ في أهميَّةِ الصَّلاةِ - موسوعة الآداب الشرعية

المجلسُ السَادسُ والعِشرون

في ظِلِّ الصَّدَقةِ

الحَمدُ للهِ الذي أمَرَ بالصَّدَقةِ، ووَعَد الخَلَفَ عليها مَعاشِرَ المُنفِقينَ، فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبإ: ٣٩]، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رَحمةً للعالَمينَ، وعلى آلِه وصَحبِه أجمعينَ.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الصَّدَقةَ في الإسلامِ لها فَضلٌ عَظيمٌ ومكانةٌ عاليةٌ.

فالصَّدَقةُ تَدُلُّ على صِدقِ إيمانِ الإنسانِ باللهِ وإيمانِه بالجَزاءِ عِندَ مَولاه.

فإنَّ الإنسانَ بطَبيعَتِه يُحِبُّ المالَ حُبًّا جَمًّا، فيَبخَلُ به ويَشُحُّ عَن إنفاقِه مِن شِدَّةِ حِرصِه وطَمَعِه وخَوفِه مِن نَفادِه.

لذا ورَدتِ النُّصوصُ بما يُزيلُ هذا الحرصَ والخوفَ حتَّى يُقبِلَ عليها المسلمُ بنَفسٍ طَيِّبةٍ وحُسنِ ظَنٍّ باللهِ تعالى، ومن ذلك تسميتُها قَرضًا. والقَرضُ مِن شَأنِه أن يُرَدَّ. كما قال اللهُ تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ومِنها إخبارُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه ((ما نَقَصَت صَدَقةٌ مِن مالٍ)) كما رَوى مُسلِمٌ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه.

فالصَّدَقةُ لا تكونُ سَببًا في نَقصِ المالِ، بَل تَزيدُ أضعافَ ما يُعطَى منه بأن يَنجَبِرَ بالبركةِ، في النَّفسِ أو الأهلِ، أو في المالِ ذاتِه، وهو وإن نَقَصَ حِسًّا إلَّا أنَّ في ثوابِه جَبرًا لنَقصِه وزِيادةً إلى أضعافٍ كَثيرةٍ.

وجاءَ في الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ما من يومٍ يُصبِحُ العبادُ فيه إلَّا مَلَكانِ يَنزِلان، فيقولُ أحَدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهمَّ أعطِ مُمسِكًا تَلَفًا)).

فيدعو أحَدُهما بأن يُعطيَ اللهُ للمُتصدِّقِ خَلَفًا وعِوضًا عمَّا أنفَقه.

أخي المُسلِمَ:

إنَّ المالَ في حَقيقَتِه مِلكٌ للهِ، وهو عِندَك أمانةٌ ووديعةٌ يَختَبِرُك بها اللهُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ويومَ القيامةِ أنت أحوجُ ما يَكونُ إلى ظِلٍّ يقيكَ شَمسَ ذلك اليومِ؛ لتَسلَمَ من شِدَّةِ حَرارتِها ووَهجِها، فتكونُ الصَّدَقةُ سَبَبًا في إظلالِك.

صَحَّ عَن عُقبةَ بنِ عامِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كُلُّ امرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِه، حتَّى يُقضى بَينَ النَّاسِ)).

وفي الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ تعالى في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه))، وذَكَرَ مِنهم: ((ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه)).

فينبغي المُسارعةُ إلى الخيراتِ -ومنها الصَّدَقةُ- خاصَّةً في أيَّامِ هذا الشَّهرِ المبارَكِ، وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى أنَّ الإنسانَ يَتَمَنَّى وقتَ مَوتِه مَنحَه فُرصةً أخيرةً قَبلَ قَبضِ روحِه ليَتَصَدَّقَ.

فقال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

ومِنَ النَّاسِ مَن يعاني مِن ضِيقِ ذاتِ اليَدِ، فلا يملِكُ ما يتصَدَّقُ به؛ فينبغي أن يُعلَمَ أنَّ الصَّدَقةَ لا تَنحَصِرُ في بذلِ المالِ فقَط، وإن كان هو أعظَمَها لشِدَّةِ الحاجةِ إليه، وبه قِوامُ الحَياةِ، بَل ثَمَّةَ أنواعٌ أُخرى من الصدقات فيها إحسانٌ للخَلقِ، وقد سَمَّاها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صَدَقةً.

فمِنَ الصَّدَقاتِ: تَقديمُ عَونٍ، أو إزالةُ حاجةٍ، أو كَفُّ أذًى، أو تَخفيفٌ مِن عِبءٍ، ونَحوُ ذلك.

رَوى البخاريُّ عَن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كُلُّ مَعروفٍ صَدَقةٌ)).

ومن ذلك:

البَشاشةُ والتَّبسُّمُ في وَجهِ الآخَرينَ.

ثَبَتَ عَن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كُلُّ مَعروفٍ صَدَقةٌ، وإنَّ مِن المَعروفِ أن تَلقى

أخاكَ بوَجهٍ طَلقٍ)). أي: بوجهٍ بَشوشٍ مُتبسِّمٍ.

والكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقةٌ.

في الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((الكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقةٌ)).

سَواءٌ كانت طَيِّبةً في حَقِّ اللهِ تعالَى، كالتَّسبيحِ والتَّكبيرِ والتَّهليلِ، أو في حَقِّ النَّاسِ.

فالإنسانُ أحوجُ ما يَكونُ إلى كَلِمةٍ طَيِّبةٍ مِن أخيه المُسلِمِ؛ كَلِمةٍ صادِرةٍ مِن قَلبٍ يُحِبُّ له الخَيرَ؛ كَلِمةٍ تُذهِبُ ضِيقَ صَدرِه، أو تُدخِلُ السُّرورَ في نَفسِه.

والسَّلامُ على مَن لَقِيتَ صَدَقةٌ.

صَحَّ عَن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((تَسليمُه على مَن لقيَ صَدَقةٌ)).

ففي السَّلامِ على أخيه المُسلِمِ إعلانٌ بمُسالَمَتِه فلا يَخشى مِنه سوءًا.

والأمرُ بالمَعروفِ والنَّهيُ عَن المُنكَرِ صَدَقةٌ.

رَوى مُسلِمٌ عَن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((وأمرٌ بالمَعروفِ صَدَقةٌ، ونَهيٌ عَن مُنكَرٍ صَدَقةٌ)).

لأنَّ في الأمرِ بالمَعروفِ إيصالًا للخَيرِ إلى النَّاسِ، وفي النَّهيِ عن المُنكَرِ كَفٌّ للشَّرِّ عنهم.

ومُعاونةُ الآخَرينَ صَدَقةٌ.

في الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((وتُعينُ الرَّجُلَ في دابَّتِه فتَحمِلُه عليها أو تَرفَعُ له عليها مَتاعَه صَدَقةٌ)).

فيُعينُ أخاه على رُكوبِ دابَّتِه وغَيرِها مِن وَسائِلِ النَّقلِ إنْ لم يَستَطِعِ الرُّكوبَ بنَفسِه، أو يُعينُه بوَضعِ مَتاعِه عليها، فتلك صَدَقةٌ.

وثَبَتَ عَن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كُلُّ مَعروفٍ صَدَقةٌ، وإنَّ مِنَ المَعروفِ أن تَلقى أخاكَ بوَجهٍ طَلقٍ، وأن تُفرِغَ مِن دَلوِكَ في إناءِ أخيكَ)). أي: تُفرِغُ الماءَ مِن دَلوِكَ في وعاءِ أخيكَ المُسلِمِ.

وسُقيا الماءِ صَدَقةٌ.

صَحَّ عَن عَبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((والشَّربةُ مِنَ الماءِ يَسقيها صَدَقةٌ)). وسُقيا الماءِ تُعَدُّ مِن أفضَلِ الصَّدَقاتِ.

والإرشادُ إلى الطَّريقِ صَدَقةٌ.

ففي صحيحِ البخاريِّ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ودَلُّ الطَّريقِ صَدَقةٌ)). أي: دَلالَتُه والإرشادُ إليه لِمَن لا يَعرِفُه.

وإزالةُ أو تنحيةُ الأذى عن الطَّريقِ صدَقةٌ.

في الصَّحيحَينِ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ويُميطُ الأذى عَن الطَّريقِ صَدَقةٌ)).

أي: إبعادُ كُلِّ ما يُؤذي النَّاسَ في طَريقِهم مِن حَجَرٍ أو شَوكٍ أو غَيرِه.

وجِماعُ الزَّوجِ لزَوجتِه صَدَقةٌ.

رَوى مُسلِمٌ عَن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((وفي بُضعِ أحَدِكُم صَدَقةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أيَأتي أحَدُنا شَهوتَه ويَكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: أرَأيتُم لو وضَعَها في الحَرامِ أكان عليه فيها وِزرٌ؟ فكذلك إذا وضَعَها في الحَلالِ كان له أجرٌ)).

فهو بذلك يُلَبِّي حاجَتَه وحاجةَ أهلِه الغَريزيَّةَ بالحَلالِ، فيُعِفُّ نَفسَه وإيَّاهم عَن الحَرامِ.

واللُّقمةُ يَضَعُها الرَّجُلُ في فمِ زَوجَتِه صَدَقةٌ.

فرَوى البخاريُّ عَن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ومَهما أنفقتَ فهو لكَ صَدَقةٌ، حتَّى اللُّقمةُ تَرفعُها في فِي امرَأتِكَ)).

وهو عَمَلٌ يَسيرٌ لكِنَّه يُلَبِّي حاجةَ المَرأةِ في حُبِّ الاهتِمامِ بها وإظهارِ المَودَّةِ لها.

فيا مَن لم يتَّسِعْ مالُه للتَّصَدُّقِ على الفُقَراءِ والمساكِينِ، فليَسَعْهم منك ابتِسامةٌ، وبَذلُ سَلامٍ، وكَلِمةٌ طَيِّبةٌ، وحُسنُ خُلُقٍ. فليَسَعْهم

منك إسداءُ نَفعٍ أو معاوَنةٍ، أو إزالةُ ضَرَرٍ، إلى غيرِ ذلك، وإلَّا فكُفَّ عنهم أذاك؛ فهو صَدَقةٌ.

ففي الصَّحيحَينِ عن أبي موسى الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ((على كُلِّ مُسلِمٍ صَدَقةٌ، قيل: أرَأيتَ إن لم يَجِدْ؟ قال: يَعتَمِلُ بيَدَيه فيَنفعُ نَفسَه ويَتَصَدَّقُ، قيل: أرَأيتَ إن لم يَستَطِعْ؟ قال: يُعينُ ذا الحاجةِ المَلهوفَ، قيل له: أرَأيتَ إن لم يَستَطِعْ؟ قال: يَأمُرُ بالمَعروفِ أوِ الخَيرِ، قال: أرَأيتَ إن لم يَفعَلْ؟ قال: يُمسِكُ عنِ الشَّرِّ؛ فإنَّها صَدَقةٌ)).

اللَّهُمَّ أصلِحْ لنا دينَنا الذي هو عِصمةُ أمرِنا، وأصلِحْ لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا،

وأصلِحْ لنا آخِرَتَنا التي فيها مَعادُنا، واجعَلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ،

واجعَلِ الموتَ راحةً لنا من كُلِّ شَرٍّ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: آدابُ الزَّكاةِ والصَّدَقاتِ – موسوعة الآداب الشرعية

المجلسُ السَّابعُ والعِشرون

زكاةُ الفِطرِ

الحَمدُ للهِ الذي شَرَع لنا ما يَسُدُّ النَّقصَ، ويُطَهِّرُ النَّفسَ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وأصحابِه وآلِه الذين طَهَّرهم وأذهَبَ عنهم الرِّجسَ.

أمَّا بَعدُ:

فقد شُرِعَت زكاةُ الفِطرِ في نِهايةِ شهرِ رَمَضانَ طُهرةً للصَّائِمِ مِمَّا اعتَرى صيامَه مِنَ اللَّغوِ والرَّفَثِ.

كَما ثَبَتَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((فرَضَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم زَكاةَ الفِطرِ طُهرةً للصَّائِمِ مِنَ اللَّغوِ والرَّفَثِ، وطُعمةً للمَساكينِ)).

واللَّغوُ: هو الكَلامُ الباطِلُ، والرَّفَثُ: الكَلامُ الفاحِشُ القَبيحُ.

فهيَ تَرفعُ الخللَ الواقعَ في الصَّومِ؛ لأنَّ الحَسَناتِ يُذهِبنَ السَّيِّئاتِ.

ولهذا قال بَعضُ العُلَماءِ: إنَّ صَدَقةَ الفِطرِ للصَّائِمِ كسَجدَتَي السَّهوِ للصَّلاةِ، فكَأنَّها جُبرانٌ للصَّائِمِ لِما دَخَلَه مِنَ النَّقصِ بحُصولِ الآثامِ مِنَ اللَّغوِ والرَّفثِ والكَذِبِ والغيبةِ والنَّميمةِ وأكلِ الشُّبُهاتِ وغَيرِ ذلك، فجُعِلَت هذه الصَّدَقةُ مُكَفِّرةً لها ومُتَمِّمةً للصِّيامِ جابِرةً له، كالسُّجودِ للسَّهوِ.

والزكاةُ مِن فضائِلِها تطهيرُ المُسلِمِ من ذُنوبِه.

قال اللهُ تعالى مخاطِبًا نبيَّه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

أي: خُذْ من أموالِ المُسلِمينَ صَدقةً تُطَهِّرُهم مِن دَنَسِ ذُنوبِهم، وتُنَمِّي أموالَهم، وتزيدُ في أخلاقِهم الحسَنةِ، وأعمالِهم الصَّالحةِ، وفي ثوابِهم الدُّنيويِّ والأُخرويِّ.

﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾ أي: وادْعُ للمُسلِمينَ عندَ أخْذِك صَدَقاتِهم؛ لأنَّ دُعاءَك لهم طُمأنينةٌ، وراحةٌ لقُلوبِهم.

ثمَّ قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

أي: ألَمْ يَعلَمُوا أنَّ اللهَ وَحدَه هو الذي يقبَلُ التَّوبةَ من التَّائبينَ، ويقبَلُ الصَّدَقاتِ مِن عبادِه إذا كانت طيِّبةً خالصةً للهِ ربِّ العالَمينَ؟

وفي الصَّحيحَينِ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((ما تصدَّقَ أحدٌ بصَدَقةٍ من طيِّبٍ -ولا يَقبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ- إلَّا أخَذَها الرَّحمنُ بيَمينِه، وإن كانت تَمرةً، فتَربُو في كفِّ الرَّحمنِ حتى تكونَ أعظمَ من الجَبَلِ، كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فَصيلَه)).

فاللهُ عزَّ وجَلَّ لا يَقبَلُ منَ الصَّدَقاتِ إلَّا التي كانت من كَسبٍ حَلالٍ، وتلك الصَّدَقةُ الطَّيِّبةُ يَتقبَّلُها اللهُ عزَّ وجلَّ بيمينِه كَرامةً لها، وكِلتا يَدَيه تَعالَى يَمينٌ مبارَكةٌ، ثمَّ يُنَمِّيها ويُضاعِفُ أجرَها لِتَثقُلَ في الميزانِ، كما يُربِّي المرءُ مُهرَه الصَّغيرَ من الخَيلِ الذي يَحتاجُ للرِّعايةِ والتَّربيةِ، حتَّى تَكونَ مِثلَ الجبَلِ حَجمًا وثِقَلًا يومَ القيامةِ.

وثبت عن جابِرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ الله عنهما، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((والصَّدَقةُ تُطفِئُ الخَطيئةَ كما يُطفِئُ الماءُ النَّارَ)).

فإخراجُ الصَّدقاتِ يَمحو الذُّنوبَ والخَطايا، كما يطفئ الماءُ النَّارَ ويُزيلُها.

والزَّكاةُ سَبَبٌ مِن أسبابِ الفلاحِ.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

فعلى قَولِ بَعضِ المُفَسِّرينَ فـ ﴿تَزَكَّىٰ﴾ أي: أدَّى زَكاةَ الفِطرِ، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ذَكَرَ اللهَ في طَريقِ المُصَلَّى إلى أن يَخرُجَ الإمامُ، والصَّلاةُ هيَ صَلاةُ العيدِ.

ومِن حِكَمِ مَشروعيَّةِ زكاةِ الفِطرِ كذلك:

١- أنَّها طُعمةٌ للمساكينِ؛ ليستغنوا بها عن السُّؤالِ يومَ العِيدِ، ويشتركوا مع الأغنياءِ في فرحةِ العيدِ.

٢- أنَّها زكاةٌ للبَدَنِ؛ حيثُ أبقاه اللهُ تعالى عامًا مِنَ الأعوامِ، وأنعَمَ عليه بالبَقاءِ؛ ولأجلِ ذلك وجبَت للصَّغيرِ الذي لا صَومَ عليه، والمجنونِ، ومَن عليه قضاءٌ قبلَ قَضائِه.

٣- أنَّها مِن شُكرِ نِعَمِ اللهِ على الصَّائمينَ بالصِّيامِ.

٤- حصولُ الثَّوابِ والأجرِ العظيمِ بدَفعِها لمُستحقِّيها في وَقتِها المحدَّدِ.

وزكاةُ الفِطرِ واجبةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ مَلَكَ ما يَزيدُ عَن قوتِه وقوتِ مَن يَلزَمُه، سَواءٌ كان صَغيرًا أو كَبيرًا، ذَكَرًا أو أُنثى، حُرًّا أو عَبدًا.

ففي الصَّحيحَينِ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((فرَضَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم زَكاةَ الفِطرِ صاعًا مِن تَمرٍ، أو صاعًا مِن شَعيرٍ، على العَبدِ والحُرِّ، والذَّكَرِ والأُنثى، والصَّغيرِ والكَبيرِ مِن المُسلِمينَ، وأمَرَ بها أن تُؤَدَّى قَبلَ خُروجِ النَّاسِ إلى الصَّلاةِ)).

وتجِبُ على الأبِ عن أولادِه الصِّغارِ الذين لا أموالَ لهم، إذا أمكنه ذلك.

ولا تجِبُ عن الجَنينِ في بَطنِ أمِّه.

والأفضَلُ إخراجُها بَعدَ صَلاةِ الفَجرِ يومَ العِيدِ وقَبلَ صلاةِ العيدِ.

ويجوزُ تعجيلُها عن وَقتِها بيومٍ أو يومينِ فقط.

وتُخرَجُ مِن قُوتِ البَلدِ، كالتَّمرِ والأُرزِ، والدَّقيقِ ونحوِ ذلك؛ لأنَّ نُفوسَ المستحقِّين إنما تتشوَّفُ لِمثلِه في يومِ العيدِ.

والقَدرُ الواجِبُ في زكاةِ الفِطرِ صاعٌ مِن طَعامٍ، وهو ما يُقارِبُ: ٣ كيلوجراماتٍ.

ولا تُجزئُ القيمةُ في زكاةِ الفِطرِ.

ويجوزُ لِمَن وجَبتْ عليه زكاةُ الفِطرِ أن يُخرِجَها مُجزَّأةً، بعضَها إثرَ بعضٍ.

ويَنبَغي للمُسلِمِ أن يُخرِجَها بطِيبِ نَفسٍ، وأن يَتَخيَّرَ لها صِنفًا طَيِّبًا غَيرَ رَديءٍ، ويُقدِّمَها لِمَن يَستَحِقُّها دونَ مَنٍّ أو أذًى، ويَستَشعِرَ حِكمَتَها، ويَحتَسِبَ الأجرَ عِندَ اللهِ تعالى فيها، ولا يُؤَدِّيَها وكأنَّها مُجَرَّدُ عملٍ اعتادَ عليه، بَل يُحَدِّثُ نَفسَه بفوائِدِها، ويَحمَدُ اللهَ تعالى الذي أعطاه مِن فَضلِه، ومَنَعَ غَيرَه.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: زكاة الفِطر - الموسوعة الفقهية

المجلسُ الثَّامنُ والعِشرون

ماذا بَعدَ رَمَضانَ؟

الحَمدُ للهِ الحيِّ القَيُّومِ، الذي جَعَل أحَبَّ الأعمالِ إليه ما يدومُ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على محمَّدٍ الذي كان إذا عَمِلَ عَمَلًا أثبتَه، والقائِلِ: ((أحَبُّ العَمَلِ إلى اللهِ أدوَمُه)).

أمَّا بعدُ:

فها هي أيامُ رمضانَ قد انقضَت فيَنبَغي للمسلمِ أن يَسألَ رَبَّه قَبولَ عَمَلِه في نهايةِ هذا الشَّهرِ الفضِيلِ.

وقد كان دعاءُ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السَّلامُ وهما يرفعانِ القواعَد مِن البيتِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ويَنبَغي أن يَخافَ ويخشى ألَّا يُقبَلَ مِنه ما عَمِلَه في رمضانَ.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

أي: الَّذين يُعطُونَ ما أعْطَوا مِن زَكَواتٍ وصَدَقاتٍ وغيرِ ذلك، والحالُ أنَّ قُلوبَهم خائِفةٌ مِن رُجوعِهم إلى ربِّهم، وبَعْثِهم يومَ القِيامةِ للحِسابِ والجَزاءِ، فيَخافونَ ألَّا يُتقبَّلَ منهم.. أولئك يُسابِقونَ في عمَلِ الطَّاعاتِ.

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ مِن عَلامةِ قَبولِ الطَّاعةِ أن تُوصَلَ بطاعةٍ بَعدَها، وعَلامةُ رَدِّها أن توصَلَ بمَعصيةٍ عَقِبَها.

والعاقِلُ لا يَبني بَيتًا ثُمَّ يُهدِمُه، أو يُنشِئُ مَشروعًا ثُمَّ يُهمِلُه، فلا يُعقَلُ أن يهدمَ المسلمُ ما بناه في رمضان بمُجَرَّدِ انتِهاءِ الشهر فعلى المسلم أن يُحافِظَ على مَكتَسَباتِه، مِنَ الأعمالِ الصَّالِحاتِ في رمضان، هذه المكتسبات التي تَبقى له أجرًا مُدَّخَرًا، وتَكونُ له يَومَ لقاءِ اللهِ ذُخرًا.

ولْيحذَرْ أنْ يكونَ مثلَ المرأةِ التي قال اللهُ تعالى عنها: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾

[النحل: ٩٢]، يعني: لا تكونوا كالمرأةِ الغازِلةِ التي تَغزِلُ الصُّوفَ، ثمَّ إذا غزَلَتْه وأتقَنَتْه نَقَضَتْه ومَزَّقَتْه! بل دُوموا على ما أنتُم عليه. ففيه دَلالةٌ على أنَّ الإنسانَ ينبغي أن يُحافِظَ على ما اعتادَه مِن الخَيرِ.

وإذا كان الإنسانُ يَبني ثُمَّ يَهدِمُ، والعُمرُ يَمضي، فذلك يَعني أنَّ المَوتَ قد يَأتي وهو خاوٍ ومُفلِسٌ تَمامًا. وهنا مَثَلٌ ضَرَبه اللهُ تعالى لتقريبِ ذلك المعنى، فقال: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

رَوى البُخاريُّ عَن عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ، قال: (قال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه يومًا لأصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: فيمَ تَرونَ هذه الآيةَ نَزَلَت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦] قالوا: اللهُ أعلَمُ، فغَضِبَ عُمَرُ فقال: قولوا: نَعلَمُ أو لا نَعلَمُ، فقال ابنُ عَبَّاسٍ: في نَفسي مِنها شَيءٌ يا أميرَ المُؤمِنينَ، قال عُمَرُ: يا ابنَ أخي، قُل ولا تَحقِرْ نَفسَك، قال ابنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَت مَثَلًا لعَمَلٍ، قال عُمَرُ: أيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قال عُمَرُ: لرَجُلٍ غَنيٍّ يَعمَلُ بطاعةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللهُ له الشَّيطانَ فعَمِلَ بالمَعاصي حتَّى أغرَقَ أعمالَه).

فالآيةُ تُصوِّرُ رجُلًا له جَنَّةٌ مُثمرةٌ مِن نَخيلٍ وأعنابٍ، فكَبِرَ في السِّنِّ، وأولادُه صِغارٌ لا قُدرةَ لهم على الكَسبِ، فأصابَ تلك الجَنَّةَ رِيحٌ عاصفةٌ فيها نارٌ، فاحْتَرَقَت، ففَقَدَها وهو أحوجُ ما يكونُ إليها؛ فالفاقةُ في الشَّيخوخةِ أصْعبُ، وفي هذا الأثَرِ تَفسيرٌ لهذا المَثَلِ؛ فضُرب لِرجلٍ غَنيٍّ يَعمَلُ بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ بُعِثَ له الشَّيطانُ، فعَمِلَ بِالمعاصي فأضاعَ أعمالَه الصَّالحةَ بذلك، ثمَّ احتاجَ إلى شَيءٍ منها في أشدِّ أحوالِه، فلمْ يبقَ لديه أيُّ رصيدٍ منها.

ثمَّ قال اللهُ تعالى في نهايةِ هذا المَثَلِ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

فلو تَصوَّر كلُّ عاقلٍ هذا المَثَلَ، وتأمَّلَه كما ينبغي، لم يُقدِمْ على ما فيه مضرَّتُه وندامتُه، ولَمَا سوَّلت له نفسُه إحراقَ أعمالِه، وإضاعةَ أجورِها.

أيُّها الأحبَّةُ:

إنَّ مِمَّا يُعينُ على الحِفاظِ على المَكتَسَباتِ الرَّمَضانيَّةِ مَعَ الاستِمرارِ عليها والزِّيادةِ مِنها: شُكرُ اللهِ تعالى على نِعمةِ إدراكِ رَمَضانَ والتَّوفيقِ فيه.

فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن تَمامِ الشُّكرِ استِدامةُ الطَّاعةِ، والثَّباتُ عليها، وتَجويدُها، فيَزيدُ إحسانًا فوقَ إحسانٍ، وطاعةً بَعدَ طاعةٍ.

ولَقد حَثَّ الشَّارِعُ على الاستِمرارِ في طَريقِ الاستِقامةِ بَعدَ رَمَضانَ.

ومِن أهَمِّ الأُمورِ التي يَنبَغي للمُسلِمِ استِصحابُها بَعدَه: التَّقوى.

فمِن أهَمِّ مُنجَزاتِ رَمَضانَ التي شُرِعَ صيامُه مِن أجلِها: أن يَستَصحِبَ العَبدُ حالةَ التَّقوى في الأعمالِ الظَّاهرةِ والباطِنةِ في كُلِّ لحظةٍ مِن عُمُرِه.

ومِن الأعمالِ التي يَنبَغي للمُسلِمِ استِصحابُها بَعدَ رَمَضانَ: الصِّيامُ.

فرَوى مُسلِمٌ عَن أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أتبَعَه سِتًّا مِن شَوَّالٍ كان كَصيامِ الدَّهرِ)).

فمَن صامَ شَهرَ رَمضانَ كاملًا، ثُمَّ صامَ بعْدَه ستَّةَ أيَّامٍ مِن شوَّالٍ مُتواليات أو مُتفرِّقاتٍ؛ كانَ لَه مِن الأَجرِ مِثلُ ما يُعادِلُ صِيامَ العامِ كلِّه، وهذا مِن عَظيمِ فَضلِ اللهِ عَلى عِبادِه، فالحسنةُ بعَشرِ أمثالِها، وعليه فرَمضانُ بمَنزلةِ عَشَرةِ أَشهُرٍ، وصِيامُ ستَّةِ أيَّامٍ بعْدَ الفِطرِ تَمامُ السَّنةِ.

ومِن الأعمالِ التي يَنبَغي للمُسلِمِ استِصحابُها بَعدَ رَمَضانَ: قيامُ اللَّيلِ.

فالمسلمُ الذي قامَ شهر رَمَضانَ كاملًا أيعجزُ أن يَقتَطِعَ مِن ليلِه شَيئًا ولَو يَسيرًا ليُصَلِّيَ فيه لرَبِّه، ويَتلوَ كَلامَه؟!

ففي الصَّحيحَينِ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((نِعمَ الرَّجُلُ عَبدُ اللهِ، لو كان يُصَلِّي مِن اللَّيلِ)). فكان بَعدُ لا يَنامُ مِن اللَّيلِ إلَّا قَليلًا.

ومِن الأعمالِ التي يَنبَغي للمُسلِمِ استِصحابُها بَعدَ رَمَضانَ: تِلاوةُ القُرآنِ وتَدَبُّرُه.

ففي رمضانَ أقبل المسلمُ على القُرآنِ، تِلاوةً وتَدبُّرًا، فحَريٌّ أن لا يَهجُرَه أبَدًا حتى لا يدخل تَحتَ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهَجرُه أنواعٌ، مِنها: هَجرُ سَماعِه والإصغاءِ إليه، وهَجرُ تِلاوتِه، وهَجرُ تَدبُّرِه، وهَجرُ العَمَلِ به والوُقوفِ عِندَ حَلالِه وحَرامِه، وهَجرُ تَحكيمِه.

ويَنبَغي للمُسلِمِ أن يُسارِعَ في الخيراتِ بَعدَ رَمَضانَ وأن يلتمِسَ أسبابَ المَغفِرةِ.

فمن الأعمالِ أعمالٌ يَسيرةٌ جِدًّا قد تكون سببًا في مغفرةِ الذنوب إذا احتَسَبَها صاحِبُها عِندَ اللهِ، ومِنها: ما رَواه البخاريُّ ومُسلِمٌ عَن أبي هرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وَجَد غُصنَ شَوكٍ على الطَّريقِ فأخَّرَه، فشَكَرَ اللهُ له، فغَفَرَ له)).

فرَحمةُ اللهِ واسِعةٌ، وفضلُه عَظيمٌ.. ألا فتَعَرَّضوا -أيُّها الإخوةُ- لنَفحاتِ اللهِ تعالى بَعدَ رَمَضانَ وفي جَميعِ أزمانِكُم كَما فعَلتُم ذلك فيما مَضى مِن شَهرِكُم.

ربَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بعدَ إذ هَدَيتَنا، وهَبْ لنا مِن لَدُنْك رحمةً؛ إنَّك أنت الوهَّابُ،

اللهُمَّ إنَّا نسألُك الثَّباتَ حتَّى المماتِ، والمداوَمةَ على الطَّاعاتِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

المجلسُ التَّاسعُ والعِشرون

عيدُ الفِطرِ

الحَمدُ للهِ الرَّحيمِ الغَفورِ، شَرَعَ الأعيادَ وجَعَلها موسِمًا للفَرَحِ والسُّرورِ، فحَقٌّ علينا حمدُ اللهِ وشُكرُه، وقليلٌ منْ عِبَادِه الشَّكورُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على الرَّحمةِ المُهداةِ والنِّعمةِ المُسداةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن والاه.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ الأعيادَ هي مواسِمُ الفَرَحِ، وإنَّما شَرَعه اللهُ لهذه الأمَّةِ بتَمامِ نِعمتِه وكمالِ رَحمتِه، قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]، وقد شَرَع اللهُ للمُسلِمين عيدينِ في السَّنةِ، وعِيدًا في كُلِّ أسبوعٍ.

أمَّا عيدُ الأُسبوعِ: فهو يومُ الجُمُعةِ، وهو متعَلِّقٌ بإكمالِ فَريضةِ الصَّلاةِ؛ فإنَّ اللهَ فَرَض على عبادِه المُسلِمين الصَّلاةَ كُلَّ يومٍ وليلةٍ خمسَ مرَّاتٍ، فإذا كَمَلَت أيَّامُ الأُسبوعِ وأكمَلوا صلاتَهم فيها، شَرَع لهم عيدًا يجتَمِعون فيه على صَلاةِ الجُمُعةِ، وشَرَع لهم الخُطبةَ؛ تذكيرًا بنِعَمِ اللهِ عليهم، وحَثًّا لهم على شُكرِها، وجَعَل شُهودَ الجُمُعةِ بأدائِها كفَّارةً لذُنوبِ الجُمُعةِ كُلِّها وزيادةِ ثَلاثةِ أيَّامٍ إذا اجتُنِبتِ الكبائِرُ.

وأمَّا عيدا السَّنَةِ: فهما عيدُ الفطرِ وعيدُ الأضْحى.

فعيدُ الأضحى للمُسلِمين يكونُ عِندَ تمامِ حَجِّهم بعد الوقوفِ بعَرَفةَ، وهو يومُ العِتقِ من النَّارِ، فجعَلَ اللهُ عَقِبَ ذلك عيدًا.

وعيدُ الفِطرِ يكونُ بَعدَ تمامِ صيامِهم الذي افتَرَضه اللهُ عليهم كُلَّ عامٍ، فإذا أتمُّوا صيامَهم أعتَقَهم من النَّارِ، فشَرَع لهم عَقِبَ ذلك عيدًا.

وقد سَمَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَومَ العيدِ بَعدَ رَمَضانَ بيَومِ الفِطرِ.

وهَكَذا ثَبَتَ عَن عَدَدٍ مِن الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم تَسميةُ هَذا العيدِ بيَومِ الفِطرِ.

فإنَّ الفِطرَ أبرَزُ حَدَثٍ في العيدِ الذي يَأتي بَعدَ صيامِ رَمَضانَ. كَما أنَّ أبرَزَ حَدَثٍ في العيدِ الثَّاني هو ذَبحُ الأضاحيِّ، فسُمِّيَ بيَومِ الأضحى ويَومِ النَّحرِ.

ولذا كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لا يَخرُجُ إلى مُصَلَّى العيدِ بَعدَ انتِهاءِ رَمَضانَ إلَّا بَعدَ أن يَتَناولَ تَمَراتٍ يُفطِرُ عليهنَّ في صَباحِ ذلك اليَومِ.

فرَوى البخاريُّ عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لا يَغدو يَومَ الفِطرِ حَتى يَأكُلَ تَمَراتٍ)).

قيل الحِكمةُ في ذلك: بَيانُ المُبادَرةِ إلى امتثالِ أمرِ اللهِ تعالى بوُجوبِ الفِطرِ بعدَ وُجوبِ الصَّومِ، فأصبَحَ مِن السُّنةِ الإفطارُ على التَّمرِ إن وُجِدَ، أو ما يقومُ مَقامَه قبلَ صَلاةِ العِيدِ.

وفي روايةٍ صحيحةٍ زيادةُ: ((ويأكُلُهنَّ وِترًا)).

فيَكونُ عَدَدُ التَّمَراتِ التي يُفطِرُ عليها وِتْرًا، فيَأكُلُ تَمرةً، أو ثَلاثًا، أو خَمسًا، أو سَبعًا، وهكذا.

ولذلك جاءَ الحُكمُ المُؤَكَّدُ والقاطِعُ بتَحريمِ صيامِ هذا اليَومِ.

فرَوى البخاريُّ ومسلمٌ عَن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((إنَّ هذين يَومانِ نَهى رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عَن صيامِهما: يَومُ فِطرِكُم مِن صيامِكُم، والآخَرُ يَومٌ تَأكُلونَ فيه مِن نُسُكِكُم)).

ويُستَحبُّ خروجُ الجميعِ، حتَّى الصِّبيانِ والنِّساءِ، والحُيَّضِ.

رَوى الشَّيخانِ عَن أُمِّ عَطيَّةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كُنَّا نُؤمَرُ أن نَخرُجَ يَومَ العيدِ حَتى نُخرِجَ البِكرَ مِن خِدرِها، حَتى نُخرِجَ الحُيَّضَ، فيَكُنَّ خَلفَ النَّاسِ، فيُكَبِّرنَ بتَكبيرِهم، ويَدعونَ بدُعائِهم، يَرجونَ بَرَكةَ ذلك اليَومِ وطُهرَتَه)).

فأُمِرَ كُلُّ المُسلِمينَ بالخُروجِ إلى مُصلَّى العِيدِ، حتَّى الحائضُ أثناءَ عُذرِها، غيرَ أنَّ الحُيَّضَ يَجلِسنَ خلفَ النَّاسِ، ويُكبِّرنَ بتَكبيرِهم، ويَدعونَ بدُعائِهم؛ رَجاءَ حُصولِهنَّ على البَرَكةِ والأجرِ، والطَّهارةِ مِن الذُّنوبِ في هذا اليومِ.

ويُستَحبُّ كذلك مُخالَفةُ الطَّريقِ، فيُذهَبُ إلى مُصَلَّى العيدِ مِن طَريقٍ، ويُرجَعُ مِن طَريقٍ آخَرَ.

رَوى البُخاريُّ عَن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا كان يَومُ عيدٍ خالَفَ الطَّريقَ)).

قيل الحِكمةُ مِن ذلك: أنْ يعُمَّ أصحابَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالسُّرورِ به، أو الانتفاعِ به في قَضاءِ حَوائجِهم في الاستفتاءِ، أو التَّعلُّمِ والاقتداءِ، أو الصَّدقةِ أو السَّلامِ عليهم، ونحْوِ ذلك. ويَجوزُ أنْ يكونَ ذلك لصِلةِ الأرحامِ الذين ليسوا في طَريقِه الأوَّلِ،

أو لِتَخفيفِ الزِّحامِ عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أو لكي يَشهَدَ له الطَّريقانِ، أو ليَغيظِ المنافِقين واليهودَ، أو ليُرهِبَهم بكَثرةِ مَن معه، أو لِيَتفاءلَ بتَغيُّرِ الحالِ إلى المغفرةِ والرِّضا، أو أنَّه أراد تَكثيرَ الأجرِ بتَكثيرِ الخُطَا في الذَّهابِ إلى المُصلَّى والرُّجوعِ منه، واللهُ أعلمُ.

ويُسنُّ التكبيرُ في عيدِ الفِطرِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ففي الآيةِ: الأمرُ بالتَّكبيرِ بعدَ إكمالِ عِدَّةِ شهرِ رَمضانَ.

ويَبدأُ وقتُ التَّكبيرِ: بغُروبِ شَمسِ ليلةِ العِيدِ.

ويَنتهي: بصلاةِ العيدِ. فليس في هذا العيدِ تَكبيرٌ مُقيَّدٌ عَقِبَ الصَّلواتِ كما هو في عيدِ الأضحى.

أمَّا صيغةُ التَّكبيرِ:

فلا تَلزَمُ صيغةٌ معيَّنةٌ له، والأفضلُ أن يقولَ: اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ، ولله الحَمدُ.

ويُسنُّ الجَهرُ بالتَّكبيرِ للرِّجالِ.

وذلك من إظهارِ شعائرِ الإسلامِ، وفيه تذكيرٌ للآخَرين، وإغاظةٌ لأعداءِ الدِّينِ.

ويُستَحَبُّ الغُسلُ والتَّطَيُّبُ لحُضورِ صَلاةِ العيدِ، وأن يَخرُجَ الرجلُ مُتَجَمِّلًا ومُتَزَيِّنًا لها على أحسَنِ هَيئةٍ.

وينبغي الحِرصُ على غَضِّ البَصَرِ.

وكان بَعضُ الصَّالِحِينَ يَحذَرونَ مَعصيةَ اللهِ في يَومِ العيدِ خاصَّةً، ويُحَذِّرونَ مِنها، فلْيَحرِص المسلمُ والمسلمةُ على غضِّ البَصَرِ في الذَّهابِ إلى المُصَلَّى والرُّجوعِ منه.

ولا بأسَ بالتَّهنئةِ بالعيدِ.

فثبت عن جُبَيرِ بنِ نُفيرٍ، قال: (كان أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا التَقَوا يومَ العيدِ يقولُ بعضُهم لبعضٍ: تَقبَّلَ اللهُ منَّا ومنك).

ويجوزُ التَّبسُّطُ في المباحاتِ، كلَعِبِ الغِلمانِ، وغِناءِ البَناتِ الصَّغيراتِ، ونحوِ ذلِك.

ففي الصَّحيحَينِ عَن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّ أبا بَكرٍ دَخَلَ عليها والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عِندَها يَومَ فِطرٍ أو أضحى، وعِندَها جاريَتانِ -أي: بِنتانِ صَغيرتانِ- تُغَنِّيانِ، فقال أبو بَكرٍ: مِزمارُ الشَّيطانِ؟ فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: دَعْهما يا أبا بَكرٍ، إنَّ لكُلِّ قَومٍ عيدًا، وإنَّ عيدَنا هَذا اليَومُ)).

وثبَت عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قدِمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المدينةَ ولهم يومانِ يَلعَبون فيهما، فقال: قدْ أبدَلَكم اللهُ تعالى بهما خيرًا منهما: يومَ الفِطرِ، والأضحى)).

ففي ذلك أنَّ الشَّرع قد أباح اللَّعِبَ واللَّهوَ فيهما، وهذا دليلٌ على أنَّ في الدِّينِ فُسحةً للنَّاسِ، ولكن بأمورٍ لا تُغضِبُ اللهَ سُبحانَه.

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ مَشاعِرَ المُسلِمِ في نِهايةِ رَمَضانَ وإن انتابَها شَيءٌ مِن الحُزنِ على فِراقِه وفِراقِ أجوائِه الإيمانيَّةِ وبَرَكاتِه وخَيراتِه، إلَّا أنَّ مَشاعِرَ الفَرحةِ في هَذا اليَومِ يَنبَغي أن تَطغى بنِعمةِ إتمامِ صَومِ رَمَضانَ، وتَوفيقِ اللهِ تعالى للعِبادةِ فيه.. وهذه الفَرحةُ تَظهَرُ في العيدِ بذِكرِ اللهِ شُكرًا على النِّعمةِ، وتَهنِئةِ المُسلِمينَ بَعضِهم بَعضًا، والفِطرِ في هَذا اليَومِ والتَّوسُّعِ في بَعضِ المُباحاتِ باعتِدالٍ، مع ما يَتَعَلَّقُ بذلك مِن التَّهادي والتَّزاوُرِ والخُروجِ إلى المُتَنَزَّهاتِ.

فمَشاعِرُ الارتياحِ والأُنسِ والفَرَحِ والمَودَّةِ هيَ ما يَنبَغي أن يَعُمَّ أُمَّةَ الإسلامِ قاطِبةً، ويَشعُرَ بها كُلُّ فَردٍ مِنها في نَفسِه، ويُظهِرَها لغَيرِه.

إنَّه الفَرَحُ العَظيمُ الذي يَجعَلُ كُلَّ مُسلِمٍ يَهتِفُ بصَوتٍ عالٍ: اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ ولله الحَمدُ.

تقبَّل اللهُ منَّا ومِنْكُم.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحبِه أجمَعينَ.

للمزيد: آدابُ العيدَينِ - موسوعة الآداب الشرعية

للمزيد: صَلاة العِيدَينِ - الموسوعة الفقهية

المجلسُ الثَّلاثون

وداعًا رمَضانُ

الحمدُ للهِ على التَّمامِ، الحمدُ للهِ على الصِّيامِ والقِيامِ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ خيرِ مَن صلَّى وصام، وعلى آلِه وصَحبِه الكرامِ.

أمَّا بعدُ:

سَلامٌ مِنَ الرَّحمنِ كُلَّ أوانِ ... على خَيرِ شَهرٍ قد مَضى وزَمانِ

سَلامٌ على شَهرِ الصِّيامِ فإنَّه ... أمانٌ مِنَ الرَّحمنِ أيُّ أمانِ

لَئِن فَنِيَت أيَّامُك الغُرُّ بَغتةً ... فما الحُزنُ من قلبي عليك بفانِ

ها هو شَهرُ رَمَضانَ قد رَحَلَت أيَّامُه وانقَضَت ساعاتُه، وانقَسَمَ النَّاسُ ما بَينَ مَقبولٍ ومَطرودٍ؛ فأمَّا المَقبولُ فهَنيئًا له على الصِّيامِ والقيامِ، قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، فلِلصَّائِمِ فرحَتانِ: إذا أفطَرَ فرِحَ بِفِطرِه، وإذا لَقِيَ رَبَّه فرِحَ بصَومِه، وعَلامةُ هذا القَبولِ أن يَستَقيمَ على التَّقوى، ويَتَمَسَّكَ بها بَعدَ رَمَضانَ؛ فإنَّ مِن ثَوابِ الحَسَنةِ الحَسَنةَ بَعدَها.

وأمَّا المَطرودُ -ونَعوذُ باللهِ أن نَكونَ مِن المَطرودينَ- فهو الذي أضاعَ هذِه الفُرصةَ فما تغيَّر في رمضانَ، وما ازداد قُربًا مِن الرَّحمنِ.

قال بَعضُ العُلماءِ: مَتى يُغفَرُ لمَن لا يُغفَرُ له في هذا الشَّهرِ؟! ومَتى يَصلُحُ مَن لا يَصلُحُ في رَمَضانَ؟! كُلُّ ما لا يُثمِرُ مِن الأشجارِ في أوانِ الثِّمارِ فإنَّه يُقطَعُ، ثُمَّ يوقَدُ في النَّارِ.

أخي المسلمَ:

إنَّ العمرَ سَريعُ الانقِضاءِ، وإذا جاءَت النِّهايةُ وانقَضى الأجَلُ فلا يَستَطيعُ أحَدٌ إعادَتَه، قال اللهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وقال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

فبادِرْ بالعَودةِ إلى اللهِ، والتَّوبةِ على تَفريطِكَ في رَمَضانَ ما دام في عُمرِكَ بَقيَّةٌ، فمَن تابَ تابَ اللهُ عليه.

أيها الأحبَّةُ:

لقد انقضى رَمَضانُ وقد تَقَلَّبَ العَبدُ فيه بَينَ عِباداتٍ شَتَّى: عِبادةٍ بالصَّلاةِ بفرائِضِها ونَوافِلِها، ومِنها قيامُ رَمَضانَ، وعِبادةٍ بالصِّيامِ، ثُمَّ عِباداتٍ مُتَنَوِّعةٍ مِن قِراءةٍ للقُرآنِ، وذِكرٍ للهِ، ودُعاءٍ وصَدَقاتٍ، إلى غَيرِ ذلك، ثُمَّ في نِهايةِ الشَّهرِ زَكاةُ الفِطرِ.

فإذا تَأمَّلَ المُسلِمُ ذلك عَلِمَ أنَّه عَبدٌ للهِ عَزَّ وجَلَّ عُبوديَّةً دائِمةً تَشمَلُ حَياتَه كُلَّها ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فالغايةُ مِن خَلقِه هي عِبادةُ اللهِ وحدَه لا شَريكَ له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فيَنبَغي للمُسلِمِ أن يَضَعَ هذِه الغايةَ نُصبَ عَينَيه؛ حتَّى لا يَنصَرِفَ إلى أمرٍ آخَرَ يَشغَلُه عَنها، وهو أنَّه عَبدٌ للهِ، لا يَقولُ ولا يَفعَلُ إلَّا ما يُرضي رَبَّه، ولا يُقدِّمُ ولا يُؤَخِّرُ إلَّا بَعدَ إذنِه، فهو في استِسلامٍ تامٍّ لرَبِّه تَبارك وتعالى؛ لأنَّه المَلِكُ الذي يَنبَغي أن يُطاعَ سُبحانَه وتعالى، ومما يَدُلُّ على هذِه العُبوديَّةِ وهذا الاستِسلامِ المُطلَقِ للهِ عَزَّ وجَلَّ أنَّ آخِرَ يَومٍ مِن رَمَضانَ أوجَبَ اللهُ علينا صيامَه، ثُمَّ يَتبَعُه أوَّلُ يَومٍ مِن شَوَّالٍ، وقد حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ علينا صيامَه؛ لأنَّه يَومُ عيدٍ، فهما يَومانِ مُتَجاوِرانِ أحَدُهما صَومُه فريضةٌ، والآخَرُ صَومُه مُحَرَّمٌ.

إنَّها العُبوديَّةُ للهِ عَزَّ وجَلَّ، أمَرْتَنا يا رَبِّ فامتَثَلنا أمرَكَ، ونَهَيتَنا يا رَبِّ فانتَهَينا عَن نَهيِكَ، فالحُكمُ لك وَحدَك ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، والأمرُ لَكَ وحدَكَ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أيُّها الإخوةُ:

إنَّ مِن عَلاماتِ سَعادةِ العَبدِ أن يَكونَ مِمَّن إذا ابتلاهم صَبَروا، وإذا أنعَمَ عليهم شَكَروا، وإذا أذنَبوا استَغفروا؛ وذلك أنَّ العَبدَ لا يَخلو مِن أحوالٍ ثَلاثةٍ: نِعَمٍ مِن اللهِ تَتَرادَفُ عليه، فالواجِبُ عليه تِجاهَها الشُّكرُ، ومِحَنٍ مِن اللهِ يَبتَليه بها، فالواجِبُ عليه فيها الصَّبرُ، وذَنبٍ يَقَعُ فيه العَبدُ، ففرضُه فيه الاستِغفارُ.

أمَّا الشُّكرُ: فللهِ عَزَّ وجَلَّ الشُّكرُ على أن وفَّقَنا لإتمامِ فريضةِ الصِّيامِ، قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي: فلعَلَّكم أن تَكونوا مِن الشَّاكِرينَ على ما أنعَمَ به عليكُم بأداءِ فرائِضِه، وتَركِ مَعاصيه ومَحارِمِه، وحِفظِ حُدودِه.

أمَّا الصَّبرُ فقد خَرَجَ المُسلِمُ الذي صامَ رَمَضانَ صَومًا حَقيقيًّا، وقد تَدَرَّبَ على الصَّبرِ بجَميعِ أنواعِه: صَبرٌ على طاعةِ اللهِ مِن صيامٍ وقيامٍ وزَكاةٍ إلى غَيرِ ذلك مِن العِباداتِ، وصَبرٌ عَن مَعصيةِ اللهِ حَيثُ أمسَكَت الجَوارِحُ عَن مَعصيةِ اللهِ؛ أمسَكَت عَن قَولِ الزُّورِ، وعَن الجَهلِ والرَّفَثِ والصَّخَبِ، بَل يَصِلُ الصَّبرُ إلى غايَتِه حينما تُؤمَرُ بالكَفِّ عَمَّن شَتَمَكَ وسَبَّكَ، وأن تقولَ: إنِّي صائِمٌ، إنِّي صائِمٌ. والنَّوعُ الأخيرُ: صَبرٌ على أقدارِ اللهِ مِن جوعٍ وعَطَشٍ.

ثُمَّ بَعدَ الصَّبرِ على الطَّاعةِ والعِبادةِ بفِعلِ المَأمورِ، والصَّبرِ عَن المَعصيةِ بتَركِ المَحظورِ، نستغفرُ اللهَ تعالى مِن تقصيرٍ في طاعةٍ أو فعلِ معصيةٍ.

إخواني الكِرامَ:

وينبغي في خِتامِ الشَّهرِ أن نحاسِبَ أنفُسَنا، فإن وجَدْنا خيرًا فلنُداوِمْ عليه ولْنَزْدَدْ منه، وإن وجَدْنا قُصورًا أو تفريطًا استغفَرنا اللهَ وتُبْنا إليه، وعَقَدْنَا العَزمَ أن نُريَ اللهَ من أنفُسِنا خيرًا.

ولَئِنِ انتَهى رَمَضانُ فالأعمالُ الصالحةُ ينبغي ألَّا تنقطِعَ والعبادةُ لله ينبغي أنْ تستمِرَّ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

فاستَمِرَّ على ما أنت عليه من الخَيرِ -أيُّها الأخُ الحبيبُ- ولا تنتَقِلْ من عزِّ الطَّاعةِ إلى ذلِّ المعصيةِ، ومن أنوارِ الشُّكرِ والعِرفانِ إلى ظُلُماتِ الجُحودِ والنُّكرانِ، فيتغيَّرَ حالُك مِن السَّعادةِ إلى الشَّقاءِ، ومِن رضا الله إلى غضبِه وسخطِه، ومِن توالي النِّعمِ وحلولِ البركاتِ إلى ضدِّ هذه الأحوالِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]. فإذا غيَّروا غيَّرَ عليهم؛ جزاءً وِفاقًا.

نَسألُ اللهَ أن يَغفِرَ لنا تَقصيرَنا في رَمَضانَ وأنْ يتقبَّلَ منَّا صيامَنا وقيامَنا وصالحَ أعمالِنا، وأن يُعيدَ علينا رمضانَ أعوامًا عديدةً.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اللهُمَّ اغفِرْ لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسرَرْنا وما أعلَنَّا، وما أنتَ أعلَمُ به مِنَّا، أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المُؤَخِّرُ، وأنتَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نَبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمَعينَ.

تطبيقات الجوال الخاصة بمؤسسة الدرر السنية

اضغط على أي أيقونة لتحميل التطبيق مجانًا

حسابات التواصل الاجتماعي لمؤسسة الدرر السنية

اضغط على أي أيقونة للاشتراك